عبد الرزاق أنفو





يحمل العمل الجمعويّ معنى العطاء ، و يأخذ المفهو[illegible]نسانيّ في بعده الشامل ، يعلّمنا أن نحبّ الآخرين و نساعدهم دون أن ننتظر أيّ مقابل منهم ، و إذا كان يجوز شرعاً إقامة التماثيل ؛ فهؤلاء العظما[illegible] بكلّ تكريم و تخليد ، لقد بدأت خيوط القصّة في الانسجام صيف عام ٢٠١٢ ، حين راودتني فكرة إنشاء فرقة إنشاديّة يكون أعضاؤها من الأطفال ، لك[illegible]واقع للقضيّة جذوراً أعمق من هذا التاريخ ، لقد طرحت المسألة أوّلا على بعض الأصدقاء المقرّبين من جمعيّة " النسيم " للفنون و السّياحة ، و أقصد السيّد " رابح . ش " الكاتب العامّ للجمعيّة التي تمّ اعتمادها رسميّا سنة ٢٠١٠ ، في إطار التوجّه الجديد للحكومة ، و برنامجها الرّامي إلى إعلاء سلطة المجتمع المدنيّ في الجزائر .

توصية و إشراف :
جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية

مراجعة و تدقيق :
جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية

ماي 2014



العنوان : التجربة القندسية | الجزء 01.
كتابة و تصميم و تنسيق الصفحات : عبد الرزاق أنفو.
تاريخ : ماي 2014.
توصية و إشراف : جهاز أنسام الصّباح للتربية الفنية.
مراجعة و تدقيق : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية.
رعاية إلكترونية : منتديات " فور شباب " العالمية.
هذا الكتاب : يحمل العمل الجمعويّ معنى العطاء، و يأخذ المفهوم الإنسانيّ في بعده الشامل، يعلّمنا أن نحبّ الآخرين و نساعدهم دون أن ننتظر أيّ مقابل منهم، و إذا كان يجوز شرعاً إقامة التماثيل؛ فهؤلاء العظماء أولى بكلّ تكريم و تخليد، لقد بدأت خيوط القصّة في الانسجام صيف عام 2012، حين راودتني فكرة إنشاء فرقة إنشاديّة يكون أعضاؤها من الأطفال، لكن في الواقع للقضيّة جذوراً أعمق من هذا التاريخ، لقد طرحت المسألة أوّلا على بعض الأصدقاء المقرّبين من جمعيّة " النسيم " للفنون و السّياحة، و أقصد السيّد " رابح . ش " الكاتب العامّ للجمعيّة التي تمّ اعتمادها رسميّا سنة 2010، في إطار التوجّه الجديد للحكومة، و برنامجها الرّامي إلى إعلاء سلطة المجتمع المدنيّ في الجزائر.

إهداء

إلى جميع من كانوا السّبب في دخولي السّاحة الإنشاديّة ...

إلى كلّ أعضاء النادي الإنشادي " قندس " و خاصّة ...

" سهام "؛ " ليلى "؛ " بشرى "؛ " ناريمان "؛ " كنزة "؛ " وفاء "؛ " زينب "؛ " منال "؛ و غيرهنّ كثيرات ...

إلى كلّ من يمكنه الاستفادة من هذا الكتاب ... في إعلاء شأن الإنشاد كفن مستقلّ بنفسه و علم قائم بذاته.

إلى كلّ أفراد العائلة و الأسرة ... إلى الأستاذ " مصطفى ماضي ".

مع التحيّة الخاصّة إلى روح المرحوم ... الدّكتور " سعد الله ".

... أهدي عصارة هذه التجربة.

فهرس الكتاب

مقدّمة

تنقسم المعرفة إلى 03 أقسام؛ مرسلة و متراكمة و مجرّبة، و لكلّ واحدة منها خصائص تنفرد بها عن غيرها، فإذا كانت المعرفة المرسلة هي أصدق أنواع المعارف؛ كونها آتية من عند الله خالق الوجود و مدبّر كل جزيء فيه؛ فإنّ المعرفة المجرّبة هي الخبرات التي اكتسبناها من ممارساتنا المختلفة، و هذه الممارسات المطبوعة بالبصمة الشخصيّة لكلّ واحد منّا؛ هي ما يتراكم عبر الزّمن و التّاريخ.

إنّ عمليّة التراكم المعرفيّ التي نبحث عنها جاهدين لاستخلاص الدّروس و العبر؛ لا تكون إلاّ إذا دوّن كلّ فرد مهما كانت طبيعته آثاره في الحياة، ليستفيد منها الآخرون، و بفعله هذا الذي قد يهمله أو ينساه؛ إنّما هو بصدد تقديم خدمة جليلة للبشريّة جمعاء، و بعد :

... بتوصية من جهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة، و تحت إشرافه؛ و بمراجعة خصّنا بها جهاز " نبض الضوء " للخدمات الإنشاديّة؛ و له الشكر الجزيل على ذلك؛ وُلد على بركة الله هذا الكتاب الذي أعطيناه عنوان " التجربة القندسيّة "، في جزئه الأوّل، كعربون حبّ للعائلة، نكشف فيه ما دار في الكواليس من سنة 2012 إلى مشارف 2014.

في هذا الكتاب ...

أتكلّم بصراحة جليّة و بلغة بسيطة عن تجربتي الفنيّة من جهة؛ و عن ظروف نشأة النادي الإنشادي " قندس " من جهة مقابلة، و العراقيل التي واجهتني، ثمّ ملابسات بعض القضايا المشتركة التي نكشف عنها اللّثام لأوّل مرّة، مروراً بأبرز المحطّات التي نرى أهميّتها، و أملنا دائماً أن نفيد الآخرين بما قد يجنّبهم الوقوع في الأخطاء التي وقعنا فيها نحن، دون أن نتعرّض لأيّ أحد كان بسوء؛ و لو أخطأ معنا.

هي الحكاية في مذكراتي الشخصيّة و ليست كلّ الحكاية.

عبد الرزاق أنفو رئيس النّادي الإنشاديّ " قندس "
ماي 2014

فكرة التأسيس

بدأت خيوط القصّة في الانسجام صيف عام 2012، حين راودتني فكرة إنشاء فرقة إنشاديّة يكون أعضاؤها من الأطفال فقط، لكن في الواقع للقضيّة جذوراً أعمق من هذا التاريخ، لقد طرحت المسألة أوّلا على بعض الأصدقاء المقرّبين من جمعيّة " النسيم " للفنون و السّياحة، و أقصد السيّد " رابح . ش " الكاتب العامّ للجمعيّة التي تمّ اعتمادها رسميّا سنة 2010، في إطار التوجّه الجديد للحكومة، و برنامجها الرّامي إلى إعلاء سلطة المجتمع المدنيّ في الجزائر.

لقد كنت على صلة وثيقة بصديقي " رابح "، فهو من الأصدقاء النادرين، لقد سبق و أخبرني في حديث عابر أنّه منخرط في نشاط جمعويّ، و لمّا أوعزت إليه برغبتي اقترح إمدادي بكمبيوتر شخصي محمول يملكه لضمان انطلاقة موفقة، لقد استحسنت الفكرة مثلما استحسن هو فكرتي.

نحن بحاجة ماسّة إلى هؤلاء ممّن يقدّسون العمل الخيريّ و يحبّون الأطفال أجيال المستقبل.

لم أشأ التورّط في متاهات قد أخرج منها بخسائر فادحة، و لو أنّ التجارة مع الله مربحة دائما، غير أنّ هناك أشياء أردت حسابها بدقّة شديدة قبل المغامرة مع من أتوا للتسلية.

في صباح الإثنين اتصل صديق مقرّب ليخبر " رابح " أنّ المجلس الشعبيّ البلديّ قد منحنا الكنيسة القديمة مقرّا لنا، إنّه السيّد " عبد القادر . ب "، الرّسّام التشكيليّ المشهور، خبر طيّب أثلج صدري.

تقع الكنيسة القديمة التي ستُعرف مستقبلاً باسم " المركب الثقافي البلديّ "؛ في مدينة " العفرون "؛ بها قاعة كبيرة و مناسبة جدّا للتدريبات الصّوتيّة، بمساحة تقدّر بحوالي 100 متر مربّع، و ارتفاع 10 أمتار؛ إلى أعلى، كانت مصمّمة كقاعة للصّلاة، تصميمها شأن كلّ تصاميم الكنائس النصرانيّة الموروثة من العهد الفرنسيّ، حوّلتها السّلطات الجزائريّة إلى مكتبة عموميّة بعد الاستقلال، ثمّ إلى محكمة، تقع في وسط المدينة تماما، في الشرق تقع ابتدائيّة " مهالي شريفة "، و في الجنوب السّوق البلديّ، كما يحدّها من الجنوب الغربيّ المسجد العتيق للمدينة.

و رغم ذلك كنت متخوّفا لدرجة ما؛ و مع كلّ تسهيل يقلّ مستوى تخوّفي.

ليست هذه المرّة الأولى التي أؤسّس فيها فرقة إنشاديّة، و أعلم عن كثب ما العوائق التي يمكن أن تتواجد في السّبيل، و لعلّ هذا ما جعل هواجسي تتعاظم، فقد أسّست قبلها كثيرا من الفرق، ثم توقّفت عمّا اعتبرته عبثا مع أناس لا يفقهون معنى العمل الدّعويّ.

هذه المرّة آليت على نفسي أن أدرس المسألة جيّدا و إلى أبعد حدّ ممكن قبل أن أباشر أيّة خطوات فعليّة، لست مستعدّا لإضاعة الوقت مع هذا و ذاك، فالإنجاز يجب أن يبقى إنجازاً يرتكز على دعائم متينة و صلبة، أو من الأفضل أن

لا يكون إطلاقا.

" عبد القادر " هو أستاذ في الثانويّة، محنّك يملك خبرة واسعة في التعليم، كان يشتغل في " العفرون "، ثمّ انتقل إلى مدينة " موزاية "، التي تبعد بحوالي 05 كيلومترات إلى الشرق، أراد تحويل الكنيسة القديمة إلى متحف يضمّ روائع تضحيات أبطال الثورة الجزائريّة، ثمّ حين لم يجد الدّعم الكافي؛ وضعها كورشة رسم زيتيّ، ثمّ عيّنه المجلس الشعبيّ البلديّ مسؤولا عنها، لقد أصبحت الآن تُعرف باسم " المركّب الثقافيّ البلديّ ".

لمّا تشاورت معه في الفكرة؛ رحّب كعادته بكلّ ما يخدم الثقافة الأصيلة، بصفته نائبا في الجمعيّة، مؤكدا أنه يمكنني استدعاء الأطفال الذين اشتغلت معهم سابقا، غير أنه كان قد مضى زمن طويل على توقفي، ممّا يعني أن عناصر أقرب فرقة لي من حيث الزّمن و المكان هنّ نساء الآن على أبواب الخطبة و الزواج.

أتى موعد الدّخول المدرسيّ، نحن الآن في سبتمبر 2012، أضحى المركب الثقافيّ البلدي يعجّ بالأطفال المتعطشين لمكان يمضون فيه أوقات الفراغ، و لا سيّما يوم السّبت و مساء الثلاثاء، و ما أحوج أطفالنا إلى فضاءات يتخلّصون فيها من أوقات الفراغ !.

كان بعض الأطفال يأتون للسّؤال من حين لآخر عن الأنشطة التي لدينا، وضعت إعلاناً عامّا من أجل تأسيس فرقة إنشاديّة لها صفة النادي في الجمعيّة، لجميع الأطفال البالغين من العمر أكثر من 10 سنوات، من الجنسين، و لو أني أدركت فيما بعد أنّ الإناث أكثر جديّة من الذكور.

لقد قرّرت بهذا أن أزرع أوّل البذور و لي أهدافي التي أعمل من أجلها.

لقد سهّلت لي جمعية " النّسيم " كلّ شيء، تعرّفت على رئيسها الذي سيُصبح رئيسنا السيّد " الطيب . ي "، يفضّل الآخرون مناداته " جمال "، و على المحاسب و على بقيّة أعضاء المكتب، كنّا نجتمع عند " رابح " الذي كان كاتباً عموميّا آنذاك، في مكتبه الصّغير غير البعيد عن مركز البريد، لقد قدّم لنا خدمات جليلة ساهمت في رفع شأن الجمعيّة، بالتعاون معه؛ صمّمت الشعار الذي يُعرف بالجمل، هو الشعار الوحيد الذي أصبح يظهر في جميع أعمالنا.

السيّد " رابح . ش " هو في الواقع فنّان تشكيليّ أيضاً، له عدّة لوحات، كنت أراه فيما مضى من حين لآخر يدخل إلى دار الشباب، لم أكن أعرفه في ذلك الوقت؛ و لا أدري إلى الآن كيف تعرّفت عليه ؟، و لكني أعرف شيئاً واحدا؛ هو أنّ أصحاب النوايا الطيّبة؛ سيلاقي الله بينهم في أيّة بقعة من العالم، ليتعاونوا على البرّ و التقوى.

وزّعت إعلانات التأسيس على الإكماليّات القريبة و على الابتدائيّات، لم تؤدّي هذه الخطوة إلى نتائج كبيرة، إكتشفت فيما بعد أنّ الأطفال سيُحضرون بعضهم البعض حين يكتشفون المناخ الجمعويّ الذي سيعيشون فيه، جوّ يختلف قليلا عن المدرسة، فضاء رحب له هامش كبير من الحريّة المفقودة في صفوف التدريس، مع احترام القانون

الداخليّ المكيّف حسب النمط الجمعويّ.

في هذه السّنة انتهت عهدة المجلس الشعبيّ البلديّ؛ و تمّ انتخاب آخر جديد، نال فيه حزب " جبهة التحرير " كرسيّ الرّئاسة، و أصبح رئيس بلديّتنا منذ تلك اللّحظة هو السيّد " فيصل . م ".

ما علينا سوى أن ننتظر قليلا لنعلم ما يمكن لهذه الجماعة المنتخبة أن تقدّمه للثقافة.

إقناع الأطفال

" مريم " هي أوّل طفلة أتت، هكذا ينادونها، إلتقيت بها أمام الباب المركزيّ، أبدت رغبتها الجديّة في الانضمام، ثمّ أتت أخريات كنّ في نادي الرّسم، أمّا " شروق " الطفلة التي كنت أتوق للعمل معها؛ نظراً لما لمسته من مواهب تتمتّع بها؛ فقد انسحبت من الجمعيّة بصورة نهائيّة تحت أوامر أمّها.

لا تتصوّروا أنّي وجدت إقبالا كبيرا جدّا قدر المبتغى؛ كان القادمون إلينا متأثرون لحدّ غير معقول بما يُعرض عليهم في الفضائيّات، و خاصّة قناة " طيور الجنّة " التي وضعت في عقولهم أنّ الإنشاد قضيّة هيّنة، كلمات بلغة غير فصحى و ألحان بسيطة جدّا ليصفّق الجمهور و يصفق ثمّ يصفّق، على كلّ حال؛ لهذه القناة فلسفتها الخاصّة.

رفضت كل ذلك رفضاً قاطعا، لا يمكن أن أسمح لنفسي بهذه العشوائيّة، الطفل أمانة غالية لا نغضّ الطرف عمّا يستهلكه، هل يرضى الأولياء أن يطعموا أطفالهم أكلا فاسدا ؟، أو على الأقلّ مشكوكاً فيه ؟، فكيف نسمح لأنفسنا نحن بأن نطعم عقولهم رسائل غير مدروسة ؟، أو رسائل فيها أخطاء استراتيجيّة ؟!.

هذه قناعتي لحد الآن، أردت شيئا أكبر و أعلى، و عليه فإنّ منهج العمل يجب أن يكون ضمن مدرسة الاختصاص، لقد قلت في نفسي ما فحواه أنّه سيأتي اليوم الذي سوف يتوقف فيه هؤلاء الأطفال عن النّشاط، فعلى الأقل نعلّمهم ما يكون قاعدة متينة يرتكزون عليها في المستقبل، ينشؤون على حبّ اللّغة العربيّة الفصيحة لغة القرآن الكريم كتابنا المقدّس نحن المسلمون، و على باقي اللّغات الآكاديميّة الأخرى احتراماً لثقافات الشّعوب غير العربيّة، يحترمون اللّحن الموسيقيّ المتعوب عليه، و يقومون بتنفيذ توزيعات ارتكازاً على ما يملكون من قدرات، لا أن يتكلوا على ما يتكرّم عليهم به أستوديو التسجيل.

أتت " بشرى " و " منال " و " أماني " ثمّ " ناريمان "، كما قام صديقي " محمد . ل " بوضع إعلان على الحائط الخارجيّ لمحلّه المقابل للمركب الثقافيّ البلديّ، لقد جاملني و هو الذي يأبى أن يلصق أيّ شيء على حائطه.

عقدنا لقائنا الأول الذي كان جلسة تعارف مساء يوم الثلاثاء 25 سبتمبر 2012، أخبرتهنّ بما يتوجّب عليهنّ القيام به، و هو الحضور مرّة واحدة أسبوعيّا لمدّة ساعة و نصف أو ساعتين فقط من أجل القيام بالتدريبات الصّوتيّة، لا أطلب شيئا آخر، و أوصيتهنّ بالمداومة كي تتطوّر الأصوات تطوّراً سليماً و لا تتراجع بالغيابات؛ إلاّ الضّروريّ منها، و أن يأتين بصديقات لهنّ؛ ممّن يرون فيهنّ حبّا للإنشاد و العمل الجديّ.

ثمّ أتى " مهدي " و " سليم "، عانيت كثيراً في اختيار العناصر المناسبة، لا من حيث الجانب الصّوتيّ، بل من جانب الجديّة في العمل، كان غيري من المشرفين يبحثون عن أصحاب الأصوات الرّخيمة فقط، و من لا يملك صوتا جميلا يرفضون انضمامه، إني أرى في هذا ظلماً ما بعده ظلم لكلّ إرادة حسنة، للصّوت تمارين كي يتحسّن، و هذه التمارين تستوجب الجديّة في تطبيقها، و هذه الجدية هي ما كان يفتقده مئات الأطفال الذين يريدون الوصول إلى المبتغى و هم

نائمون على أسرّتهم.

مباشرة بعد انتهاء الحصّة تذهب الواحدة دون رجعة، كانوا يظنّون أنّهم سينشدون هكذا بكلّ سهولة مثلما يرونه على الشاشات، و ما كان مهمّا عندي هو الانضباط بالوزن؛ و صحّة الصّوت التي تعلو فوق كل نشيد.

ثمّ انسحب الذكور و بقي لديّ الإناث فقط.

طبقت مبدأ " الارتقاء الحيويّ " منذ اللحظة الأولى، هو أحد المبادئ العشرة في الفلسفة الإنشاديّة الحديثة، لقد كان للجمعيّة مكبّر صوت مناسب تماماً وصلته بالكمبيوتر المحمول الذي كان يعيرني إيّاه " رابح " الكاتب العامّ، بعدما نسخت من الإنترنيت برنامجاً صغيراً للآلات الموسيقيّة لأصحّح بها الأصوات، و علبة إيقاع بسيطة تفي بما أحتاجه لفترة من الزّمن.

أعلم في قرارة نفسي أنّ من ستبقى هي الأصلح، دون أن أحرج نفسي في الاختيار، هو انتقاء طبيعيّ و لله عاقبة كلّ أمر، و قد لا أوفّق في اختيار العناصر المطلوبة، لذا فالقدرات الشخصيّة سيّدة عظمى في أمثال هذه المواقف.

أعلنت أنّ الفاتح نوفمبر 2012 هو التاريخ الرسميّ لتأسيس النادي، و استمرّ تدفق الأطفال و استمرّ معه تسرّبهم، كنت راضياً تماما عمّا أفعل، لا أتدخل في شيء، القرار كلّه بيد الأطفال و أوليائهم، رغم أني وجدت نفسي مع 04 أطفال أحيانا أو 05 لثلاثة أسابيع متتالية، لكن الصّبر مفتاح استراتيجيّ لن أضيّعه أبدا، و توكّلي على الله هو سرّ واحد فقط من أسرار عملي.

أقول في نفسي : " إن الله وحده يعلم أني لم أخض غمار هذا المسعى إلاّ ابتغاء وجهه الكريم، فلا مال سأستفيد منه من هذه الجمعيّة؛ و في واقع المسألة لا أحتاج إليه، و لا سمعة عطرة أطمح لتحقيقها؛ فالمنافق أو المخادع هو من يسعى لتلميع صورته أمام الناس، و الناس بمصالحها، إذن فالله سيرزقني العناصر التي يقوم بها هذا النّادي، اليوم أو غدا ".

كان صديقي " عبد الرّؤوف . أ " رئيساً لقسم الفنون التشكيليّة، يستقبل الأطفال يوم الجمعة و السبت، سرعان ما انتشر الخبر بين الجميع و راح الأولياء يرسلون بأبنائهم إليه لتعلّم الرّسم، و بحكم الاختلاط الذي يقع بين الأطفال في هكذا مواضع؛ علم الجميع بأمر النادي الإنشاديّ، و من وقت لآخر تنضمّ واحدة أو اثنتين.

بسبب ذلك انضمّت إحدى أروع العناصر موهبة، " سهام بلعربي " ذات الأحد عشر ربيعا.

لا أدري لماذا أحبّ هذه الطفلة الصّغيرة بالذّات ؟، ربما لأنها نعم الإنشاديّة أو شيء من هذا القبيل ؟، عرفت فيما بعد أنّ لديها قدرة استيعاب كبيرة و كأنها وُلدت كي تنشد، و هذه النوعيّة من الأطفال هي ما أحتاج إليه، و لله في خلقه شؤون.

بصعوبة بالغة كنت أطبع كتب جهاز " أنسام الصباح " مكتبيّا و أوزّعها على الأطفال، و خاصّة كتاب " مدخل إلى فن الإنشاد " الذي وجدت فيه ضالّتي، آمنت أن أزرع فيهم حبّ المطالعة و القراءة و التثقيف و العصاميّة، و أن يكتشفوا كلّ شيء بأنفسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، أمّا دوري المتواضع؛ فهو الأب الموجّه و الحامي، في انتظار نتائج التدريبات الصّوتيّة التي نقوم بها أسبوعيّا، التي لا تأتي بثمارها غالبا قبل 06 أشهر متواصلة، كنت مصرّا على المشاركة في الفاتح من نوفمبر 2013، للأسباب التالية :

01 - إستكشاف العناصر جيّداً؛ طبيعة تفكيرهم، و وعيهم بالمهمّة الملقاة على عواتقهم، و ترك الزمن يلعب دور الحكم في اختيار اللاّئق منهم.

02 - تنمية الأطفال عقليّا بتمرير معلومات عن الإنشاد من فترة لأخرى، مدركين مع الوقت أنّه علم قائم بنفسه و فنّ مستقلّ بذاته.

03 - تكريس عنصر التأني في الأطفال و مقت العجلة التي تفسد الكثير من الأشياء.

أمّا التحديات التي كانت تنتظرني فكانت ضعيفة أمام إصراري على النجاح مهما كلّفني الثمن.

ذات مرّة؛ زارنا أحد أعضاء جمعيّة أخرى عاملة بمدينة " واد العلايق "، تقع إلى الشمال عن مقر الولاية، معروف عنه أنه كثير النشاط الجمعويّ، مقترحاً علينا الاشتراك معهم في إقامة التظاهرة المعروفة بمظاهرات 11 ديسمبر، و أنه سيتكفل بكل شيء، فرفضت الفكرة من الأساس رغم أن " عبد القادر " كان معه في الرّأي، لقد كنت مدركاً تماماً أنّ العجلة ستقضي على عملنا، إذن يجدر بنا أن نتريّث قليلا، و أن نفكّر جيّدا في كلّ خطوة نقوم بها، و أيّة عجلة أكثر من هذه ؟، لم يمرّ على النّادي سوى شهر من تأسيسه؛ و ها هم الآن يريدون إقحامنا في مشاركات تجعلنا نظهر أمام الجمهور في صورة غير مشرّفة، بحسن نيّة يتصرّفون و لكنها نيّة قاتلة للأسف الشديد.

و الآن؛ ما الفائدة من منشدة لا تعرف كيف تنقل ملاحظاتها و خبرتها لآخرين بطريقة علميّة سليمة ؟، ما الفائدة المرجوّة من منشدة لا تعي أهميّة التواصل الفكريّ ؟.

هي مغامرة يجب أن نخوضها مهما استلزم الأمر.

بصعوبة أيضا أقنعت الأطفال بضرورة كتابة مقالات تتحدّث عن الإنشاد، فكرة غريبة تماما بالنسبة لهم.

رهيبة هذه الأفكار مقارنة بما نشؤوا عليه في المحيط العامّ، أو هكذا تهيّأ لي، فهؤلاء المواليد من سنة 2000 تشبّعوا بما يشاهدونه في الفضائيّات؛ يأتون اليوم ليقابلوا من يقول لهم يجب أن تصنعوا أحسن ممّا كنتم تشاهدونه، إنّها لعمري فكرة مجنونة لمجنون بلغ من العمر آنذاك 34 سنة.

على كلّ حال؛ كان التقدّم واضحاً على أكثر من صعيد أمّا ما حدث ذات يوم فلم يكن بالأمر الواضح.

فوجئت بمجموعة من الأطفال التابعين لي يبحثون عن شخص اسمه " هشام "، أسّس فرقة مسرحيّة، ظننت لوهلة أن الأمر متعلّق بواحدة أو باثنتين؛ و لكنه كان خاصّا بنصف أعضاء الفرقة، لقد غيّرن نشاطهن إلى المسرح تحت ضغط فرقة مسرحيّة أخرى تابعة للسيّد " رابح . ف "، أستاذ التعليم الابتدائيّ في مدرسة " الإدريسيّ " سابقا، تأثير زملاء المدرسة أحيانا يفوق كلّ وصف.

مصرّ على رأيي إذا تعلّق الأمر بأحد الخطوط الحمراء للإنشاد، إمّا هذا أو المسرح، و لا مجال لممارسة النشاطين معا، لست مستعدّا و لو للحظة أن أعرّض أيّا كان لخطر على مستوى أحباله الصّوتيّة لمجرّد نزعة أو رأي ارتآه له غيره.

وجدت نفسي من جديد مع 05 عناصر فقط، بعدما قارب العدد العشرة، إنزعجت للغاية من هذه العرقلة الجديدة، ثم قلت في نفسي : " و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم "، لقد أرادوا أكل الخبز قبل نضوجه؛ فليكن لهنّ ما أردن، لديّ منهجي الخاصّ، و الحمد لله قد أثبت نجاحه أكثر من مرّة، فلماذا التعجل في قطف الثمار ؟.

كنّا في فصل الشتاء و للنهار فترة قصيرة، إذ تقام صلاة المغرب عادة قبل السّاعة السّادسة مساء، ثمّ يتوقف كلّ شيء مع تهاطل الأمطار و برودة الجوّ، لتعود الحركة صباح الغد، و مع إيقاع كهذا يقلّ النشاط الجمعويّ؛ لا سيّما في مدينة صغيرة كمدينة " العفرون "، في هذه الأثناء تأكّدت بطريقة لا تستدعي الشكّ أنّ الفصل بين النادي و الفرقة بات من الضرورة بما كان.

يقوم النادي الإنشاديّ " قندس " على قسمين؛ الفرقة الإنشاديّة التي أصبح كلّ أفرادها من جنس الإناث ابتداء من أواخر فيفري 2013، و قسم الكتابات الذي يجمع كل من لم يسعفها الحظّ في التنشيد، لأيّ سبب من الأسباب، هي فرصة منحتها لكلّ قلم جادّ، كنت أعلم بحكم خبرتي السّابقة أنّ هناك من الأطفال من سيتوقف عن الحضور يوما ما، و لا شك في ذلك، ربما لتغيير مكان الإقامة أو بسبب مشاكل عائليّة، و لكن مفعول قلمه كان لديّ حين قرّرت أن يكون كلّ شيء جاهزاً مطلع أكتوبر من نفس السّنة.

لم تدم فرقة المسرح طويلا، و راح الأطفال المساكين من جديد يبحثون عن نشاط لهم يمضون فيه أوقات فراغهم، و توسّطت بعض العناصر كي تعود من خرجت بمحض إرادتها، لم أشأ أن أمنع أيّة واحدة من الإنشاد، و في نفس الوقت أردت أن أزرع فيهنّ احترام العمل الذي كنّ يقمن به، نحن لا نلعب، لقد خرج هؤلاء عن إرادة الجماعة بنزوة عابرة، فكان سحب الفرديّ منهنّ أهمّ عبرة.

إقترحت على " ناريمان " أن تغيّر دورها من منشدة إلى ضابطة إيقاع، تردّدت في البداية ثمّ رضخت للأمر الواقع، لم تكن تعلم بماهية الدّور الجديد، لقد أصبحت مسؤولة عن ضبط كافّة عمليّات الإيقاع في الفرقة، بواسطة جميع الأجهزة التي تضمن ذلك، كما برزت " سهام " بقوّة و " فتيحة بن عمّار "، أمّا " وسام " صاحبة الصّوت الملائكيّ؛ و التي كنت أودّ لها أن تتخصّص في الإنشاد ذي الطابع الأندلسيّ و الحوزيّ؛ فقد كانت ضحيّة هذه المغامرة.

من لا شيء كانت الانطلاقة لأمهّد لمدرسة الأفكار في منطقة لا تعرف الأسس الحقيقيّة للإنشاد، ليصبح لديّ فيما بعد 15 منشدة، منهنّ " دعاء " ابنة الأستاذ " عبد القادر " الرّسام التشكيليّ و أستاذ العلوم الاجتماعيّة، ذكيّة هذه الطفلة لحدّ أني أشك أن عمرها الحقيقيّ أكبر ممّا هو مدوّن في شهادة ميلادها.

أولياء أمور 15 منشدة وضعوا ثقتهم فيّ قبل أن أضع أنا ثقتي في بناتهم، كان البعض منهم يعرفونني، مثل " ياسين " شقيق " بشرى "، و هذا ما أكسبني شيئاً من المصداقيّة، التي جاهدت من أجل المحافظة عليها في مناخ غير ملائم، و بين أناس على قطيعة تامّة مع الثقافة و الفنّ، حضر أبو " أسماء " ذات يوم ليتفقّد أحوال ابنته، تحدّثت معه قليلا حول العمل و ظروفه؛ مخبراً إيّاه أنّه يجب عليه مساعدتي بممارسة دوره الكامل كأب، أحتاج ابنته مرّة كلّ أسبوع فقط، و أنّها يجب أن تحضر في الوقت المناسب، لقد أخذ نظرة عن كثب و هو الشيء الذي أفرحني، فإذا عرف الأولياء ما أفعله داخل الحصّة وقفوا معي بكلّ ما يستطيعون، لأنّ هدفنا مشترك، و يجب أن يبقى مشتركاً.

أحيانا أحسّ أنّ الجميع معي و أحياناً أجد نفسي وحيداً، قلت مرّة للحارس : " أنا كأب ماتت زوجته تاركة له أكثر من 10 أطفال "، إنّها دراما حقيقيّة أقوى من تلك التي تعالجها المسلسلات.

التدريبات

غيّرت توقيت الحصّة من أمسية الثلاثاء إلى يوم الجمعة بعد الصّلاة، على السّاعة الثانية و النصف، و هذا بعد استشارة الأطفال، كنت حريصاً منذ البداية على التعامل مع الجميع مثل أب حنون محبّ لبناته، هنّ فعلا بناتي، أصغرهنّ في الثامنة و أكبرهنّ في السّنة الخامسة من عقدها الثاني، و في نفس الوقت يجب أن تكون هناك صرامة إلى درجة معيّنة.

عملنا روتينيّ و إن حاولت كسر الرّوتين دائما، التسخينات الصّوتيّة لمدّة لا تقلّ عن الرّبع ساعة، إرتكازاً على مقام " دو " الكبير، نظراً لسهولة نقاطه الموسيقيّة، بحيث يتمّ إسماع كلّ صوت على حدى ليقلّده الحضور بكلّ دقّة ممكنة، مع الحفاظ على ملاحظة سليمة لما يجري من تطوّرات على الأحبال، لا يمكن تقليد كلّ الأصوات في حصّة واحدة، بدأنا بالصّوت الأوّل و الثاني و الثالث فقط، أي " دو " " ري " " مي "، أمّا باقي الأصوات فلا نتعجّل الحصول عليها، إذ تتطلّب قوّة صوتيّة ما زلنا بحاجة إليها، و تنفسا سليما.

أنا ضدّ من يحاول تقليد جميع الأصوات في حصّة واحدة، ليس هذا بالمنهج الجيّد، الأحبال الصّوتيّة معجزة خلقها الله فينا ينبغي التعامل معها بطريقة علميّة، بحرص، ما زالت تنتظرنا مقامات موسيقيّة أخرى كثيرة، على غرار " البياتي "، " النهاوند "، " الرّاست " ... إلخ، يجب تقليد جميع الأصوات الموجودة في هذه المقامات بدقّة، و معنا أحبالنا و رئاتنا فقط، هو الاعتماد على أنفسنا في أبهى صوره.

أتذكّر أني اخترت أنشودة " أنا اسمي القدس "، للمنشد العالميّ " محمد أبي راتب "، هي فحص أوّلي لمدى قدرة الأطفال على التّعامل مع القطع الإنشاديّة، ما الذي يستطيعون فعله بالضبط ؟، كي أقف على القدرات الحقيقيّة لكلّ واحدة منهنّ، مشكلة المشرفين أنهم لا يعرفون إمكانيّات المنشدين و المنشدات الذين يعملون تحت سلطتهم.

لقد اكتشفت بهذا عدّة كوارث و عليّ معالجتها في ظرف لا يتجاوز سنة واحدة، و هي مدّة مناسبة إن شاء الله، لو سار كلّ شيء على ما يُرام.

زيادة على الأصوات الخاطئة؛ فإنّ الخلل في الوزن بدا متجليّا أكثر من أيّ شيء آخر، الإيقاع في جانب و الأطفال في جانب آخر، إعتمدت على طريقة الشاهد بحيث يركز الطفل على الضربة الإيقاعيّة الأولى في كل مقياس متجاهلا باقي الضربات، و مع الاستمراريّة يتصحّح لديه الخلل، مع غرابة هذا الحلّ فهو مفتاح عمليّ نافع.

كنت أرتب الكراسيّ و الطاولات قبيل صلاة الجمعة ثمّ أذهب للصّلاة لأجد كلّ شيء مرتّبا بعد عودتي، فربما التقيت مع شخص ما و أخذنا الوقت في الحديث، لقد منّ الله علينا بقاعة كبيرة للتدريب، على الأقلّ أضمن بواسطتها نموّا طبيعيّا للأحبال الصّوتيّة، في حين كانت فرق إنشاديّة أخرى تقنع بقاعة صغيرة دون أن تعلم أنّ ذلك ليس في مصلحتها على الإطلاق، من المستحيل أن يستطيع أيّ مشرف أن يرفع من مستوى الأحبال الصّوتيّة لمنشديه في مساحة صغيرة، سترتدّ إليهم أصواتهم و مع هذا الارتداد يتواجد صدى خادع يمنعهم من سماع القوّة الحقيقيّة للذبذبة، لعلّ

البعض لا يفهم هذه النقطة على النّحو الملائم، لأقرّب الفهم تخيّل أنّ شخصاً يمارس رياضة الرّكض في غرفته الخاصّة !.

إنّ المنهج الذي سيسير عليه لن يمكّنه من هدفه؛ لأنّ مكان التنفيذ ليس بالمكان المناسب إطلاقا.

إستعملت جهاز كمبيوتر محمول ثمّ اضطررت إلى استعمال جهاز كمبيوتر ثانٍ، خصّصته لي الإدارة موصولا بمكبّر صوت من النّوع الرّفيع، غير أن الصّوت لم يكن معالجا بالقدر المناسب، ممّا راح يولّد نوعاً من الصّدى في القاعة الكبيرة، فيشوّش على الأسماع، أردت اقتناء سمّاعات خاصّة كالتي في استوديوهات التسجيل، خطوة تسهل عليّ الكثير.

أمام الأموال التي تمنحها الوزارة للجمعيّات؛ جاءتني فكرة شراء كلّ ما أنا في حاجة إليه دفعة واحدة، هذه الأجهزة نحتاجها كثيرا في كل الأندية تقريبا، لكن محاسب الجمعيّة رفض رفضا قاطعا بسبب الرقم الموجود في الفاتورة الابتدائيّة، لم يشأ أن يدفع 470 ألف د .ج، عل كل حال لن يدفعه من جيبه الخاصّ.

في أغلب الجمعيات الجزائريّة يسود تفكير غريب، من أراد التقرب من السّلطات فليؤسّس جمعيّة، و من أراد نسج علاقات مع أهل الحلّ و الرّبط فليؤسّس جمعيّة، و من أراد كسب الدّعم الشعبي لغرض ما فليؤسّس جمعيّة.

من أراد المال و الثراء فليؤسس جمعيّة.

و كي لا أظلم أحدا؛ فإن هناك أناساً شرفاء همّهم الوحيد نشر الثقافة و الخير، هؤلاء قلّة قليلة كندرة الماء في صحراء غوبي.

لمّا رفض استمرّيت في العمل و كأنّ شيئا لم يكن، لم أجد ما أقوله حين سألتني " بشرى " عن السّمّاعات التي من المفروض أن نبدأ العمل بها 15 يوماً على أبعد تقدير.

ثمّ راودتني فكرة تسجيل ألبوم، هو حلم كلّ فرقة إنشاديّة، موازاة مع تقدّم واضح يحققه الأطفال، هؤلاء الذين صبروا معي لأجل هذا الغرض، و مناهم أن يسمعوا أنفسهم عبر عمل يخلّد ذكراهم؛ و لو لسنة واحدة.

لم أشأ أن أتوغل في طريق قد أجد نفسي فيه بمفردي وسط مسؤوليات كثيرة لا أقوى عليها، لا أفتح على نفسي جبهات أنا المقاتل الوحيد فيها، في حين قد يغيب عني الإمداد، ليست مصداقيتي ما أخشى عليه بل مصداقية النادي الذي يعتبر الأطفال شركائي الشرعيّين فيه.

بواسطة الفايس بوك شبكة الاتصال الاجتماعيّ المعروفة؛ اتصلت بعدّة شعراء، أو بمن يسمّون أنفسهم شعراء، لم أقتنع صراحة بأعمالهم، لماذا انخفض مستوى الشعر حتى أضحى كلّ من هبّ و دبّ يقول عن نفسه أنه شاعر ؟!.

لم يعجبني آنذاك من الشعر ممّن اطلعت على أعمالهم سوى أعمال الشاعرة " صبيرة قسامة "، عرفت اسمها من خلال استماعي للإذاعة الثقافيّة الجزائريّة؛ هي الوحيدة التي أبهرني ما كانت تكتبه، لما كان الآخرون و الأخريات

يرصفون العبارات أمام بعضها البعض تلو العبارات، ليقولوا أنها قصيدة، و لا أسمّي أيّ أحد فالشاعر يعرف ما يستطيع أن يبدع من قريحته، و رحم الله امرؤا عرف قدر نفسه.

وافقت " صبيرة " مبدئيّا، إذن أنا الآن أسير على تحقيق الحلم ببطء لكن بإصرار و تأنٍ شديدين، كل شيء يجب أن يُدرس و تعاد دراسته، بقي الملحن و الموزع، قلت في نفسي : " لماذا لا أتعامل مع أكثر من شاعر ؟، أكثر من ملحّن ؟، أكثر من موزع ؟، لا شك أن هناك طاقات كبيرة مخفية عن الأعين لا بدّ من الوصول إليها، و ربما أكون مكتشفها ".

مشكلة المواهب هي المقابر الجماعيّة التي يدفنون فيها أنفسهم، لا أحد يعلم بهم سوى الله و حفنة من المقرّبين.

مشروعي الصّغير و الكبير الذي أحاول تجسيده يقوم على الاختصاص، إبتغيت التعامل مع المختصّين كل واحد في مجاله، الشاعر و الملحن و الموزع و المصوّر ... إلخ، آمنت أن هؤلاء يستطيعون تحقيق الهدف الذي أطمح إليه، هؤلاء يمكنهم إنجاح العمل، لأنهم يملكون مفاتيح النّجاح، لديهم الإحاطة بالميدان و الاتقان، يقول تعالى : " و لا ينبّؤك مثل خبير " .

المشكلة الآن في منطقتي.

لكي أكون واحداً منهم يجب أن أكون متفوّقا و تتفوق بناتي، يجب أن أرفع من المستوى العام و الخاصّ للنادي لدرجة تغري أي طرف بالتعامل معنا و هو في قمة السّعادة و الانبساط، كل شاعر سيسرّ بمنحي أشعاره و هو يعلم أنها ستلقى كل تثمين، و كل ملحّن سيقدم لي ألحانه و هو مطمئن غاية الاطمئنان أن هناك من البنات من تستطيع التعامل معها بكل احترافيّة، سيقتنع جميعهم أنهم يتعاملون مع أطراف خبيرة بميادينها، تعلم جيّدا ما المنتظر منها تقديمه.

و للخبرة ثمن لا مناص من دفعه.

طفلتان فقط أدهشني مستواهما الذي ارتفع أكثر من المتوقّع، " سهام بلعربي " و " فتيحة بن عمار "، ثمّ بدأ شيئا فشيئا في التراجع عن المعدل الذي بدأ به، عرفت فيما بعد أن الأولى تنشد في المنزل بطريقة عبثيّة ممّا يؤدي بالأحبال الصوتية إلى التراجع، أمّا " فتيحة " فتوقفت عن التدريب بسبب تخوف أمّها على دراستها رغم أنها كانت في السّنة الرابعة ابتدائي، أي أصغر من " سهام " بعام واحد.

أن تخشى على ابنتها حقّ شرعيّ يكفله لها العرف و القانون، و من حقي أن أخشى على فرقتي، التي أسعى إلى بنائها حجراً حجرا، رغم المعوقات المتنوّعة، وليتصلّب رأيي كلّ الصّلابة أمام ما يمكن أن يؤدّي بالمستوى العام للمنشدات إلى التراجع، التنشيد في المنزل أهمّ سبب، كونه يؤدّي إلى الكبت الصّوتي، أي ذبذبة غير سليمة، و كثيراً ما أكدت على البنات أن تجنّبن عمليّة مثل هذه التي ستقضي على كلّ ما تفعلنه هنا، لا تتعجّلن و لا تأخذنّكم الهواية إلى درجة تخسرن فيها أكثر ممّا ترجونه، هو انضباط بسيط تكسبن به أشياء كثيرة.

كما أوصيهن بضرورة الحفاظ على العمود الفقريّ في وضعيّة مستقيمة، فإذا انحنى أثر ذلك على الرّئتين و على الجهاز العصبيّ ككلّ، كما يجب أن يكون التنفس عميقاً لإخراج ثاني أكسيد الكربون، إحترام هذه التعليمات يقينا عدّة مشاكل، و كلّ ذلك يجب أن يتمّ في صمت، لأنّ الحديث و لو همسا سيتعب الأحبال الصّوتيّة التي هي الآن بعد التدريب مباشرة في حاجة ماسّة إلى الرّاحة احتياج الغطاس إلى الهواء النقيّ، قبل أن نكمل العمل الذي ينتظرنا.

قبل الشروع في أنشودة ما أو بين فترات التدريب؛ كنت أريهن بعضا من الأناشيد المصوّرة، المأخوذة من " شبكة بسملة الإنشاديّة " أو " شبكة إنشادكم العالميّة " أو " شبكة سما العالميّة "، هي طريقة للترويح عن النفس و فرصة لإظهار جوانب أخرى غير المألوفة، كنت أحرص على جودة ما أعرضه عليهن حرصي على طباعة صور الأحبال الصّوتيّة في حالة سليمة و أخرى مريضة، كنت أطلعهنّ عليها من حين لآخر رغم كونها مقزّزة للكثيرات منهنّ، لقد أردت أن ينشأن على قاعدة علميّة صلبة، و أن يكنّ على معرفة جيّدة بما يفعلنه أو بما يُطلب منهن.

نبيل كلّ من يقدّس البراءة و يتحرّى أيّ حرف يخطّه على الصّفحة البيضاء الحسّاسة لكلّ خربشة من أيّ قلم.

أمّا البحّة التي كانت تصيب الواحدة من حين لآخر؛ فهي تعب ما له سوى الرّاحة التّامّة حتى تستعيد الأحبال الصّوتيّة قوّتها من جديد، و مرّات كانت تأتي إحداهنّ و ليس لها صوت إن صحّ لي هذا التعبير، زكام بسيط يمكن أن يؤدّي إلى ذلك و خاصّة مع تناول أدوية مختلفة، كالذي حدث مع " بشرى " حيث فقدت صوتها أكثر من 05 أيّام بسبب بخاخة استعملتها، يحدث ذلك في المنزل، رغم أني كنت أوصيهم بالابتعاد عن كلّ ما يؤثر سلباً على سلامة أصواتهنّ، كالسّهر و القهوة المركّزة و التعرّض لدخان السّجائر و شرب الماء البارد جدّا في فصل الصّيف.

" أصواتنا رؤوس أموالنا، فإذا ذهبت يجب أن نذهب إلى اختصاصات أخرى ".

التعاونيّة الثقافيّة " كريستال "

" هشام " طالب جامعيّ أراد تأسيس فرقة مسرحيّة تابعة للتعاونيّة الثقافيّة " كريستال "، لصاحبها السيّد " سليم . ب "، مخرج سينمائي و موسيقيّ في آن واحد، و التعاونيّة تضمّ عدّة أنشطة مثل الجمعيّة تماما، أهمّ فرق بينهما هو أن للجمعيّة دعم ماليّ من مديريّة الشباب و الرّياضة، و من المجلس الشعبيّ البلديّ و من غير ذلك من صناديق الدّولة، أمّا التعاونيّة فتعتمد على نفسها في تمويل أنشطتها.

لا أعلم بالضبط كيف أسّس " سليم " تعاونيّته ؟، المهمّ لي أنّ النشاط في المركب الثقافيّ يتطلّب وثيقة رسميّة تقدّمها أيّة جماعة أرادت القيام بأعمال ثقافيّة من مسرح أو مجموعات صوتيّة أو فنون تشكيليّة ... إلخ، لقد تقاطع انضمامي لجمعيّة " النسيم " مع خروج " سليم " منها، و بحكم تعيين الأستاذ " عبد القادر " مسؤولا عن المركب الثقافيّ؛ أراد وثيقة من هذا الأخير للسّماح له بإقامة ما شاء من نشاطات، لجمعيّة " النسيم " اعتماد رسميّ تحت رقم 06 / 2010، و أحضر رئيس الفرع البلديّ لجمعيّة " عروس متيجة " السيّد " سفيان . م " الذي هو أيضا طالب جامعيّ؛ ورقة الاعتماد، إذن لم يبقى سوى " سليم ".

بدأت التعاونيّة " كريستال " في جذب الهواة فأضحى لديها فرقة مسرحيّة خاصّة بالكبار، و مجموعة عزف موسيقيّة، و نادي سمعي بصريّ، و عليه فقد أصبحت تزخر بنشاط ثقافيّ أكثر من جمعيّتنا، ممّا يدفعنا ثلاثتنا إلى الجلوس حول طاولة واحدة للتشاور في وضع برنامج محكم لأيّة مناسبة، لقد بدأنا بتقسيم الحصص بين جميع النوادي، ثمّ سرعان ما دبّت الفوضى جرّاء تجاهل الوقت المخصّص لكلّ واحد.

كنا نعاني من تشبّع حقيقيّ بحيث أوقات الرّاحة الأسبوعيّة مملوءة عن آخرها، أمّا في باقي الأوقات فالكلّ مشغول بعمله أو دراسته.

لمّا بدأنا العمل، كان مكبّر الصّوت ضمن ملكيّة " سليم " الذي كان يعيرني إيّاه حين أحتاجه، ثمّ دفعت الجمعيّة مقابله فأضحى ملكنا، أمّا ما كان يمتلكه " سليم " فحدّث و لا حرج، لقد عرف هذا الشخص كيف يبني نفسه بحيث لديه شبه استوديو للأعمال الصوتيّة، مع كاميرا ذات نوعيّة رفيعة، باختصار لديه جميع ما نرغب في تواجده لدينا، لم أكن أريد التسرّع في إحضار كلّ شيء، لقد كنت و ما زلت مهتمّا بتكوين الفرد قبل أن أزوّده بالتجهيزات التي قد تكون غير ضروريّة، بل أحياناً وجودها يمثل عائقاً أمام العمل الصّارم الذي يجب أن نقوم به.

تساعدنا التجهيزات في تطوير أصواتنا و قدراتنا؛ أمّا إذا كانت تلعب دور القاتل فالأجدر ألاّ نستعملها، إذن تقوم النتيجة التي نريد الوصول إليها على الكيفيّة التي نوظف بها ما بأيدينا من وسائل.

كنت أخشى على الأطفال أن ينخدعوا بالتجهيزات التي يمتلكها " سليم "، فيتركون العمل الجادّ و يتواكلوا على الآلة التي تعمل كلّ شيء في معتقدهم.

إكتشاف الكاتبة " نوال بلعربيّ "

إيماني عميق أنّه لكلّ واحد موهبة ينفرد بها عن الآخرين و قد يشترك معهم، مهمّتنا الرّئيسة اكتشاف مواهب الأطفال ثمّ توجيهها نحو الهدف الأسمى، و هذا أمر صعب في شيئين؛ قد لا نوفّق في اكتشاف الموهبة في الوقت المناسب، كما يمكن أن لا نوفق في إقناع الشخص المعنيّ بضرورة التركيز على موهبته الحقيقيّة التي تعتبر ذات أولويّة، فيما ينشغل هو بما يظنه هواية ممتعة.

" نوال بلعربيّ " هي أخت المنشدة " سهام "، كانت في السّنة الرّابعة من التعليم المتوسّط حين صارحتني هذه الأخيرة برغبة أختها في الانضمام للنّادي كشاعرة في البداية، أخبرتها أنّ عليها الحضور مع بعض أعمالها كي أرى عن قرب ما الذي يمكنني فعله، جاءت معها ذات يوم و الخجل يعلوها تحمل أوراقاً خطّت عليها بعض أشعارها، لست متخصّصا في الشعر و لست بشاعر، و لكن ما قدمته لي " نوال " للأسف الشديد لم يكن شعرا، لقد لمست مقدرتها في التعبير، و في التأليف، و خانها الحفاظ على وزن للقصيدة.

أقنعتها بضرورة التخلّي عن الشعر الذي تريد أن تقحم فيه نفسها بالقوّة، هي حسّاسة جدا و الحسّاس لا يجد في وضع مماثل سوى الخاطرة ليسكب فيها مشاعره و يحسبها شعرا، و هذا هو ما تعانيه المرأة لدينا، بحيث تستعصي عليها بعض الميادين التي هي في الأصل حكر على الرّجل؛ فتلجأ إلى أيسر فسحة و لو كانت غير مضمونة.

سارعت إلى توجيهها للكتابة التنظيريّة في الإنشاد، نحن بحاجة تزداد باستمرار إلى عمالقة أقوياء يقوّمون لنا أفعالنا في السّاحة، و العملاق يبدأ قزماً ثمّ يكبر، لقد انزعجت غاية الانزعاج لمّا أتاني خبر توقف الكاتبة " حياة الياقوت " عن الكتابة في المجال الإنشاديّ، بعد وجودها الفعليّ الذي أفرحني حين كنت مطالعاً لبعض مقالاتها عبر الأنترنيت، ثم راحت تكتب في أشياء خارج الإنشاد ممّا ألهاها عن الدّفاع عن القضيّة الأمّ.

ساهمت " نوال " في كتاب " أوراق من المكتبة الإنشادية " الذي صدر في جانفي 2014، بمقالات رائعة المحتوى، بل و ساعدت أختيها " سهام " و " فلة " في الكتابة، لقد أثارت انتباه جهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة بكتابها الذي ما زال لم يصدر بعد " المرأة و الإنشاد "، كيف لا و قد تطرّقت فيه لجوانب هامّة تعالج عدة ثغرات في الدّعوة الفنيّة ؟.

مثل جميع أعضاء النادي غير المنتمين للفرقة الإنشاديّة؛ ليس لزاماً عليهم الحضور أسبوعيّا، إنّما هي مرة واحد أو مرّتين شهريّا تكفي لأتابع العمل الذي يحضّرونه، عملي الإشراف على الكتابة و هناك من يشرف علينا و الشّرف لنا.

و الهواية ما هي سوى اندفاع للنفس يجب أن ينظمها العقل في إطار المعرفة، أو تصبح فوضى لها خاصيّة التهديم، يجب أن يفهم الجميع هذا الكلام على الوجه الأمثل، لأنّه الحقيقة التي غابت عنهم و ما زال البعض يغيّبونها بتصرّفاتهم، لقد لاحظت في الجمعيّة مواهب متعدّدة؛ و لكن توجيهها نحو هدف أمثل واحد هو ما ينقصنا، و بالتالي فإنّ كلّ موهبة ستضيع هباء منثورا، و ما أقوله عن جمعيّتنا هو الشيء نفسه في الجمعيّات الأخرى في الجزائر و العالم.

الأستاذ " سليم . غ " و فرقته المدرسيّة

كما هو متعارف عليه في المدارس الجزائريّة؛ فإنّ حفل نهاية السّنة يجب أن يكون شيئاً ذا أهميّة من الجانب الترفيهيّ و الثقافيّ للتلاميذ، و خاصّة إذا حضر المفتشون و مدير التربية للولاية، و عليه فإنه عادة ما يُعهد إلى أستاذ النّشاط بتكوين فرقة للإنشاد من أصحاب الأصوات الجميلة يتدرّبون في أيّام الرّاحة، لا لشيء سوى لإقامة حفل ختام السّنة الدّراسيّة، ثمّ يذهب كلّ واحد إلى شأنه.

كان الأستاذ " سليم . غ " أستاذاً قديراً في الفنون التشكيليّة، مهتمّا بالنشاط المدرسيّ، فطلبت منه الإدارة إنشاء فرقة انضمّ إليها عشرات التلاميذ، من حين لآخر يطلب منهم الحضور إلى المركب الثقافي البلديّ للتدريب، نظراً لما يحويه من قاعة واسعة مناسبة أفضل بكثير من قاعات التدريس.

أصبحنا الآن فرقتين ننشط في مكان واحد، لقد لاحظت بعض المنشدات أنّ هناك انسجاماً بين الأفراد في الفرقة الثانية أكثر من انسجامهنّ مع بعضهنّ البعض، إذن لقد أدركن معنى كلامي حين قلت أنه كلّما كان عدد المنشدين أكبر نقص الضغط على كلّ فرد منهم، لأنّ المسؤوليّة في إنتاج صوت سليم تتجزّأ إلى عدّة أسهم، و العكس صحيح؛ أيّ خطأ في فرقة ذات عدد قليل سيظهر بكل وضوح و لو سعى الجميع لإخفائه.

قلت : " إعملوا على انضمام من تعرفونها أو من تعرفونه إلينا، شرط أن تبيّنوا له طبيعة التدريب الذي نطبّقه كي يجعل نفسه في موقف واضح منذ البداية ".

هذه العمليّة أكسبت فرقتنا " فتيحة الجزيري " و " وفاء أوغريد " و " سماح عماري " و أسماء رباحي " بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و غيرهن ممّن توقّفوا عن النشاط لظروف مدرسيّة أو عائليّة.

المهمّ لي أنّ الأطفال أدركوا عن كثب النظريّة السّابقة، التي كانت لهم مجرّد عبارة منمّقة لا غير.

لمّا كنت في الجامعة في السّنة النهائيّة؛ أكّد لي أحد الأساتذة الذين كنت أتبادل الحديث معهم بودّ أنّ الطفل دائما مهما كان سنّه يبحث عن دليل ماديّ يقنع به نفسه، لأنّ العقل الذي نحاول تنميته لديه ليس بالدرجة الكافية التي تسمح له بقبول مسلّمات، و إن تقبّل أقوالنا فهي مجاملات يحاول بها كسب الوقت حتّى يرى البرهان أمامه.

بعد مدّة لم نعد نسمع شيئا عن فرقة الأستاذ " سليم "، لقد توقّف كلّ شيء قبل أن ينضج أيّ شيء، و لكنّنا ربحنا عنصرين، و الله يرزق من يشاء.

ما استخلصته من هذا أنّ أغلب أولياء الأطفال عارضوا انتقال أبنائهم و بناتهم إلى مكان غير المؤسّسة التعليميّة، بل لم يقبلوا بانخراطهم في أيّة جمعيّة، مكتفين بالدّراسة فقط.

ضيف في زيارة عمل

تعرّفت ذات مساء على السيّد " يوسف . ب " المدعو " كمال "، دخل إلى المركب الثقافيّ البلديّ حاملا محفظته، مقدّما نفسه أستاذاً في المعهد العاليّ للموسيقى الكائن مقره في العاصمة، أفرحني أن ألتقي بأناس من الآكاديميّين، يعرفون ما معنى الكتابة الموسيقيّة، و يعون مفهوم التدوين، رأيت فيه أرضيّة مشتركة لكلّ مهتمّ بالفنون الغنائيّة، و لا سيّما عندما قال أنه مطلع على الموسيقى الأندلسيّة و على الموسيقى الشعبيّة و على غيرها، ثمّ قال أنه ضابط سابق في الحرس الجمهوريّ، سُرّح من الخدمة بسبب حادث تعرّض له.

كان يريد أن ينشئ مدرسة لتعليم الموسيقى وفق الطريقة العلميّة، أخبرته أننا نرحّب باقتراحه، و القرار الأخير للرّئيس الذي سيحدّد له وقتا مناسبا، فما عليه إلاّ أن يجهّز نفسه، و سنضع له إعلاناً كي يكون لديه أكبر عدد من الأطفال، فبدأ يتردّد علينا من فترة لأخرى في المساء؛ إلى أن هاتفني مرّة قائلاً أنه يريد إحضار فرقته الموسيقيّة، من مدينة " بئر التوتة " الواقعة على بعد حوالي 45 كيلومترا عنّا، للتعارف و كسب مزيد من الاحتكاك الإيجابيّ بين رفقاء الدّرب، قال أنّ لديه 53 طفلا و طفلة، و لكن في زيارته رأيتهم لا يتجاوزون 05 أفراد، لم أستسغ الفكرة كون فرقته لها من العمر شهران فقط، و أيّ مستوى يمكن أن يصلوا إليه في هذا الظرف القصير ؟، إنّ أيّ خطأ سيحسب عليّ شخصيّا، كما سيعطي انطباعاً غير محمود للجمهور.

على كلّ حال اتفقنا نحن الأربعة على كيفيّة برمجة هذه الزيارة التي ستكون يوم الجمعة على السّاعة التاسعة صباحا، أنا و هو و الأستاذ " عبد القادر " و رئيس الجمعيّة " الطيّب "، أخبرت بناتي بدوري بضرورة الحضور لمشاهدة عروضهم، فأتوا في الصّباح دون جدوى لأنّ الأستاذ " يوسف " تأخر مع فرقته، و كلّما هاتفته قال أنه في الطريق، بدأت أشك في الأمر، يبدو أنّ هناك شيئا ما لا يسرّ، لكن كلّ شيء كان يبدو طبيعيّا.

حضّرت الكاميرا لالتقاط بعض الصّور التي قد تساعدنا في تحليل ما يقدّموه لنا، و حضر بعض الأطفال كما أتى رئيس البلديّة و بعض المنتخبين، كلّ ما قدّمه لم يعجب أحداً، قلت في نفسي : " لماذا يكلّف نفسه ما لا طاقة له به، هل كان من الضرورة أن يتعجّل النتيجة ؟، ها هو اليوم يبدو كمسكين انقطعت به السّبل ".

أيّة فرقة هذه التي تعرف كلّ شيء ؟، كانت لديه طفلة تعزف على البيانو؛ أصابعها الصّغيرة تضطرب باستمرار عاكسة محدوديّة مستواها، و آخر اقترب من سنّ الشباب لا يجيد ضبط الإيقاع، و الثالثة ما زال صوتها لم يتوسّع بعد رغم خاماته الرّائعة، و لنقف هنا.

الغريب أنّه استخرج فاتورة أوّليّة بثمن فاق ما كُتب على فاتورتي من أجل شراء آلات موسيقيّة يحتاجها لإنشاء فرقة تشريفات على غرار ما يوجد في الحرس الجمهوريّ، مهمّتها عزف السّلام الوطنيّ في المناسبات الرّسميّة، لا أحد أعطى له أهميّة، بل اتخذه البعض نكتة من طراز خاصّ حين غاب أيّاما ثمّ عاد ليجسّ النبض، حاولت إفهامه أنّ

تصرّفاته الطائشة هي التي جنت عليه، فلم يعد أيّ أحد يريد أن يصغي لكلامه و لو قال ما قال، لقد شعرت أنه متعجل أكثر ممّا ينبغي؛ و المتعجّل لن يقطف ثمار ما يغرس أبدا، و صدق شعوري لمّا اتصل بي ذات مرّة بهاتفه قائلا : " إسمع العمل؛ هذه هي الطفلة التي أتت إليكم في السّابق "، و فعلاً كان عملا رائعا جدّا، قلت في نفسي ساعتها : " ها هو الآن يرى مستمتعاً ما زرع فلماذا تعجّل لنا رؤية زرعه قبل الوقت المناسب ؟، لو أنه تريّث قليلاً لكان حقّق سمعة طيّبة في المدينة؛ و لكانت له كلمة ذات وقع جميل على السّلطات المحلّيّة ".

أردت إشراكه معي في الدّعوة الفنيّة، فأنا في حاجة لأساتذة ينظرون إلى الموسيقى كعلم له أصوله و قواعده، و فوق ذلك لها لغة خاصّة بها تُكتب لتنقل إلى الأجيال القادمة، و لكن رغم أنّ فكرتي لم تنجح؛ فإنّي كنت قد طبعت بعض الكتب الخاصّة في الإنشاد و وزّعتها على أعضاء فرقته، من يعلم فقد يبارك الله في بذرة واحدة فقط من بين آلاف البذور المبثوثة في الأرض ؟.

ذهب الأستاذ " يوسف " أو كما يحبّ أن يدعوه الناس " كمال "، و ما به سوى تعجّله الذي غيّب عنه خيراً كثيرا في مدينة هي في حاجة لأنشطة ثقافيّة، و لله في خلقه شؤون.

الأستاذ " رابح . ف " و فرقة الرّقص الإيقاعيّ

بدأ ذكر المركّب الثقافيّ في الانتشار، و من فترة لأخرى يعقد الأستاذ " عبد القادر " جلسات يشرك فيها جميع رؤساء النوادي حين تختلط أوقات العمل، قوّته في مقدرته على التأليف بين جميع المتناقضات، في مرة من المرّات؛ أحضر لنا الأستاذ " رابح . ف " فرقة للرقص الإيقاعيّ، لا نعرف أعضائها تمام المعرفة، أقسم على أنه يجب أن نساعد هؤلاء، فهم من الشباب التائه الذي لا يعرف أين يذهب لممارسة هواياته، المشكلة ليست في هذا الشباب بل في هوايته، لأنّ للمركب الثقافيّ خصوصيّة يجب أن نحافظ عليها، هو مركز للنّشاطات التي لا تشكل خطراً على الأفراد أو على الجيران، لا نستطيع إدراج الأنشطة الرياضيّة فيه على سبيل المثال، أمام الباب الرئيس كان يتجمّع عشرات الشباب من مدينة " العفرون " لإقامة مباريات في الكرة الحديديّة، فهل ندخلهم إلينا لممارسة هذه الرّياضة في القاعة الكبيرة ؟.

ما يتطلّبه الرّقص الإيقاعيّ لا نستطيع تلبيته، فهم يحتاجون إلى بساط كبير، يغيّرون ملابسهم ثمّ يجرون إحماءات خفيفة، و بعدها يشغّلون موسيقى صاخبة يرقصون عليها بحركات رياضيّة، و أحياناً يقومون بشقلبات في الهواء، بعد مدّة بدأنا نكتشف بعض آثار الأحذية على الحيطان، و سرعان ما بدأت أيضاً رائحة العرق تنتشر في الهواء، كلّ ذلك أثّر سلباً على الأنشطة العاديّة ممّا يدفع إلى التذمّر شيئاً ما.

أنا شخصيّا لست ضدّ هذا الفنّ، بل أني من المنادين بوجوب التطور الثقافيّ ما دام هذا التطور لا يتناقض مع الإسلام في شيء، حتى أني فكرت مرّة أن أزاوج بين الإنشاد و ما يفعله هؤلاء، هم ينتفعون بما نقدّمه و نحن ننتفع بحركاتهم الجميلة، ما المانع في ذلك ؟، إذا كانوا يعزلون بين الجنسين و حركاتهم غير مريبة أو مشبوهة، لا تخدش الحياء مثلا ؟.

لقد انضمّوا إلينا كنادٍ رسميّ في الجمعيّة، بعدما كانوا ينشطون دون غطاء قانونيّ، و قاموا بعدّة مشاركات، لكن تصرّفات البعض منهم هي ما جعلتهم يوصمون بما يكرهون، تحدّثت مع مدرّبهم " محمد . ل " فلمست فيه الطيبة، كما أفهمه الأستاذ " عبد القادر " أنه يجب عليه أن يضبط عناصره جيّداً، يأتون في موعدهم دون المواعيد الأخرى، يلتزمون بالقانون الداخليّ للمركّب، ينقصون من صوت الموسيقى، يحترمون الآذان على اعتبار جيرتنا للمسجد ... إلخ.

تشاجرت في أحد الاجتماعات مع " رابح " بسبب هذه التصرّفات، كانوا يستعملون جهاز كمبيوتر مشترك، و فجأة وجدته معطلا، جميع البرمجيّات و الملفّات التي فيه تلفت حتّى بطاقات عضويّة الأطفال التي صمّمتها، باختصار شديد، ذهب كل شيء دون سابق إنذار.

من يتحمّل المسؤوليّة الآن ؟، لا أحد، قال أنه من العاديّ أن يتعطل الجهاز، و هم لا يعرفون كيف تمّ العطل ؟!، عملنا في النادي كاد يتوقّف لولا لطف من الله.

حين أتى المسؤول الجديد أوقفهم نهائيّا عن النّشاط.

حادثة سرقة

إستيقظت صباح يوم جمعة من أيّام مارس 2013 على رنين الهاتف حوالي السّاعة الثامنة و النصف، كان رئيس الجمعيّة هو المتصل ليخبرني أنّ لصوصاً اقتحموا المركّب الثقافيّ ليلة البارحة، آخذين كلّ ما حواه، هي المعلومات التي كانت بحوزتي لغاية وصولي إلى مسرح الحادثة.

الغريب أنه سألني إن كنت قد أغلقت الباب جيّدا قبل انصرافنا في الليلة الماضية، كان معي و فعلا أغلقت كلّ شيء مثلما هي العادة، لقد كنت آخر من أطفأ الأنوار.

لا يوجد حارس ليليّ للمركب الثقافيّ، لهذا استغلّ اللّصوص الفرصة السّانحة أمامهم معتبرينها ضربة حظّ، كانت السّاعة تشير إلى الثالثة صباحا حين كسروا نافذة المرحاض، ساحبين كافة التجهيزات و الآلات إلى الباب المركزيّ للمبنى، و حسب أقوال السيّد " خليفة . ر " حارس الفترة النهاريّة؛ فإنّ أحد الذين تأخروا في السّهرة كشف تحرّكاتهم فذهب مباشرة يناديه في منزله، لم ينتظر هذا المواظب على عمله طلوع الصّباح بل توجه على الفور إلى المكان حاملا سلاحه الأبيض كشكل من أشكال الحيطة و الحذر، رغم أنّ المسألة لا تعنيه على الإطلاق و كان يستطيع إكمال ليلته في الفراش، لكنّ روح المسؤوليّة و حبّ الخير دفعاه دفعاً إلى ما أقدم عليه، هاتف أخوه الشرطة التي أعلمته بعدم الدخول إلى المركّب نظراً لأن تواجده يعتبر غير قانونيّ في تلك السّاعة، أمّا اللّصوص فقد هربوا بمجرّد شعورهم بالخطر.

رفعت عناصر الأمن البصمات عن كلّ شيء، ثمّ استدعت رئيس الجمعيّة و المسؤول على المركب " عبد القادر " لأخذ أقوالهما و التعرّف على المواصفات الدّقيقة للأشياء المسروقة، و ما زلنا لم نعرف الفاعلين إلى اليوم، رغم تردّد عناصر الشرطة من آن لآخر على المحيط و إجراء دوريّات ليليّة قبيل منتصف اللّيل.

لقد سرق اللّصوص كل شيء من مكتبنا، بما في ذلك الأجهزة التي كنت أستعملها، الطابعة و الكمبيوتر و مكبر الصّوت، لا أدري كيف لم أترك شيئا يُؤكل في تلك اللّيلة المشؤومة ؟، كنت مدمنا على علب العصير، و أحيانا أترك برتقالة أو قطعة شوكولاطة في الدّرج، سبحان الله؛ لقد مرّ في خلدي أن أبيت تلك الليلة في المكتب لإكمال بعض الأعمال التي كانت تنتظرني، ثمّ عدلت عن الأمر في آخر لحظة.

لو كنت هناك حين حدوث السّرقة ربما يخطفني اللّصوص و يطلبون فدية من الجمعية مقابل إطلاق سراحي، إعتبرت المسألة مضحكة لحدّ ما، فقد رفض المحاسب دفع ثمن الآلات و الأجهزة التي سأعمل بها و ها هو اليوم مطالب بنفس الثمن أو أكثر لشراء حريّتي ... حمداً لله على السّلامة.

ما أدهشنا هو أنّ زوّار اللّيل تركوا أجهزة الكمبيوتر القديمة غير المطوّرة و أخذوا كلّ ذي ثمن، و كأنهم على دراية بالميدان، و هو ما أبطل فرضيّة الفعل العشوائيّ، أمّا ما أدهشني فهو عدم انتباههم للكاميرا المخبّأة في الخزانة المقدرة بستّين ألف د .ج.

كانت التصاميم الأوّلية لكتاب " المحاولات الأولى " من جملة ما سُرق، الحمد لله أني احتفظت بنسخة لديّ في المنزل، و بذلك لم يتعطّل مشروعنا.

خرجت لوهلة من المركّب لمّا بادرتني " سهام " بسؤالها : " هل صحيح ما يقوله هذا ؟ "، كانت مع طفلين على ما أذكر أمام الباب، قلت : " و ما يقول هذا ؟ ".

- " يقول أنّ المكتب سُرق ؟ ".
- " نعم صحيح ".

كنت حزيناً و غاضباً في الوقت نفسه، لقد بحّت أصواتنا و نحن نطالب مجلس البلديّة بتعيين حارس ليليّ، أهملوا طلباتنا المتكرّرة و كأنّ هذا المركب الذي سعينا جميعاً لإنشائه لا يعنيهم حتى وقعت الكارثة، إنّ إقدام مجموعة من اللّصوص على سرقة المكان يُنقص من هيبة هذا الأخير، و يجعله مركزاً للشائعات بكلّ أنواعها.

في حوالي السّاعة العاشرة صباحاً حضر رئيس المجلس الشعبيّ البلديّ برفقة حاشيته و علامات الأسى بادية على وجهه، أحسست كأنه يعاني من مشاكل داخليّة، هل يمكن أن يقترف خطأ كهذا ؟، تعيين حارس يسهر على حماية المنشأة الثقافيّة حين ينام الجميع ليس بالشيء العسير عليه، لقد تبادلوا الحديث عن العمليّة دون أن يحمّل أيّ واحد المسؤوليّة للآخر، ثمّ ذهبوا.

إستمرّت تداعيات السّرقة طويلا، بحيث أصبح كل شخص يتفحّص المكان و لو من الخارج نشكّ في أمره، و حتى أولئك الذين كانوا يتجمّعون قرب المدخل الرّئيس من حين لآخر من الجيران غيّروا مكان جلستهم خوفاً من إثارة أيّة شبهة هم في غنى عنها.

أعتقد أن البعض تعرّف على هويّة اللّصوص لكنه لم يجرأ على البوح بما قد يتسبّب له في مشكلة و الله أعلى و أعلم.

بعد صلاة الجمعة حضر الأطفال لحصّة التدريبات كالعادة، ألقوا نظرات على المكتب المسروق، بدت عليهنّ أمارات الحزن الخفيف، حاولت التخفيف عليهنّ بإثارة جوّ من الفكاهة، و إن تفاعلن معي فإنّ ما في قلوبهنّ ألم مستكين و هم يرون أنّ أجهزتنا لم تعد موجودة، و لا يدرين ما يخبؤه لنا المستقبل.

مرّت أيّام و طلب مني أحدهم أن أرفع التماساً للبلديّة قصد منحنا إعانة مالية لشراء أجهزة مثل التي سُرقت، فعلت الذي طُلب مني دون جدوى.

جهاز " أنسام الصّباح " و كتاب " المحاولات الأولى "

يتضاعف إحساسنا برحمة الله حين نكون في مشكلة ما، و فعلا كنت في مشكلة.

فضلا عن صعوبات التدريب؛ أردت أن أرفع مستوى التفكير لدى الأطفال، لا يشفي غليلي أن ينشد أيّ فرد أمامي بكيفيّة مذهلة و هو لا يعرف في داخله ما يفعل، أيّ إنشاديّ نكوّن ؟، هل هو منشد الصّوت و الإطراب أم منشد الفكرة و الهدف الأسمى ؟!.

و بناء على ذلك؛ حاولت الاتصال بطرف قويّ يعينني، بحثت كثيرا عبر الإنترنيت عن منشدين أو مشرفين متخصّصين يجيدون عملهم، فكانت لي فسيفساء، أتبادل المعلومات مع أطراف في الميدان، أستفيد منهم و يستفيدون مني، من فرق أو منشدين مستقلّين، شعراء و إعلاميّون ... إلخ، و منهم من لم أستطع الاتصال معهم لسبب من الأسباب؛ ربما لكثرة تنقلاتهم، الأمر الذي أنشأ نوعاً من القطيعة غير المقصودة بيننا، لقد كنت في مناخ إنشاديّ لغاية 2005 ثم انسحبت منه مؤقتا، و عندما عدت للبيت وجدت كل شيء قد مسّه التغيير.

من بين هذه الأطراف جهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنية بأبحاثه و كتبه المتخصصة في الإنشاد الذي راح يمثل نجمة في سماء الباحثين و الباحثات على حدّ تعبير أحد الأصدقاء.

عبر المركز المتقدم لهم " شبكة المجرة الإخباريّة " كانت اتصالاتي معهم، لقد رحّبوا بنا بحفاوة بالغة حين تأكدوا أن الجديّة في العمل و الصّرامة شعارنا الذي نرفعه دائماً في " قندس "، و أني لست غريباً عنهم، فأمدّوني بجملة من النصائح القيّمة و عملوا على ترقية النادي كما لو كان ناديهم، رغم الاختلاف بين الحركتين الفكريتين التي ينتمي لها كلّ طرف.

في أفريل 2013 صدر لنا أول كتاب حمل عنوان " المحاولات الأولى "، حقق في سنته الأولى أكثر من 25 ألف سحب إلكترونيّ، يمكن اعتباره بمثابة انتصار لنا على الجهل الملاحظ في السّاحة، لقد تعرّفت العائلة على النادي بواسطته، غير أن ذلك لم يكن بالشيء السّهل، هي عملية استراتيجيّة لنا، خطوة حصريّة حسب علمي بعدما ركّز العاملون في الميدان على الأناشيد مهملين الجانب الآكاديميّ.

نحن النادي الإنشادي " قندس " تابعون فكريّا لحركة " البراعم "، إحدى أهمّ الحركات الفكريّة العالميّة، لدينا فلسفتنا الخاصّة في تنشئة الأطفال، زاد تأكدنا من قيمة المقالة لمّا انتشرت على شبكة الأنترنيت في أكتوبر 2012 مجموعة من الأعمال أبرزها كان للمنشد العالميّ " محمد منذر سرميني " المعروف في الأوساط الإنشاديّة باسم " أبي الجود "، و عليه سارعنا إلى اتخاذ جملة من التدابير المساعدة على تشجيع العمليّة التأليفيّة الإبداعيّة عند الطفل.

" أبو الجود " هو من بين المنشدين المخضرمين إن صحّ التعبير، قامة بهيّة في عالمنا الفنيّ، أخبرني أحد الأصدقاء مرّة أنه عندما بدأت " شبكة المجرة الإخباريّة " نشاطها الفعليّ انطلاقاً من سنة 2003 أو 2004؛ شجّعهم عن طريق توصية

بعض الفِرق بالتعامل مع هذه الطاقات الجديدة.

طرحت الفكرة العامّة للكتاب التي محورها كتابة مقال في أيّ شأن من شؤون الإنشاد على الأطفال، فأعطاني البعض منهم مواضيع أوّليّة منها الهامّة و منها غير الهامّة، أفهمتهم بخفايا ما يجب عليهم عمله، فكانت عدة أفكار متناولة في تعابيرهم بما يفوق 50 مقالة.

حاولت أن أتجاوز العدد الخمسين، من يدرِ ؟، ربما تُرفض بضع مقالات لسبب أو لآخر، فيكون الإضافيّ منها ما نحتاجه لتغطية المرفوض.

مرجعنا الرّئيس كان كتاب " مدخل إلى فنّ الإنشاد "، لجهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنية الذي طبعت منه أكثر من 30 نسخة مكتبيّا، وزّعتها على جميع أعضاء " قندس "، كي يتعلّموا الاعتماد على النفس في تحصيل المعارف، إضافة إلى كتاب الدكتور " علي بن حمزة العمري " المعنون بـ " النشيد الإسلامي المعاصر ... نشأته و وظيفته؛ ضوابطه و أحكامه "، يشغل منصب أمين " رابطة الفنّ الإسلاميّ العالميّة "، أبدع و الله هذا الشيخ و ظهر الاتقان في إنجازه الآكاديميّ، فوهب المولى له كلّ جميل.

قرّرت فيما سبق أن أصدر الكتاب في أكتوبر 2013 متأنيا في موقفي كل التأنّي، غير أنّ " بشرى العربي عيسى " اقترحت تقديم الموعد إلى مارس من نفس السنة، قلت أن الضغط سيزيد علينا، لكن إذا استطعتم العمل على 50 مقالة فالمسألة هيّنة جدا، كنت مضطرّا أن أحدد لهم بعض المواضيع المفتاحيّة بعدما تاهوا، و أن أتدخل على فترات متقاربة بالتّنسيق مع " شبكة المجرّة الإخباريّة "، هنّ الأخوات اللاتي أكنّ لهنّ كل محبّة أخويّة و تقدير، كيف لا و قد قمن بما عجز عنه الرّجال ؟، و الكلّ ميسّر لما خلق له.

" شبكة المجرّة الإخباريّة " شبكة إعلاميّة ليس لها موقع رسميّ على الإنترنيت، تتكفل بعمليّات التنسيق و نشر الثقافة الإنشاديّة على المستوى العالميّ، هي المركز المتقدّم لجهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة، أي أنّ أيّ اتصال لا يكون مع هذا الأخير مباشرة؛ بل تكون الشبكة وسيطاً بين الجهاز و المتصل.

يبدو الأمر معقدا قليلا و غير انسيابيّ، غير أني ما لاحظته في الميدان بدّد كافة الاعتقادات السلبيّة، و جعلني ألمس معنى قوّة الجماعة العالميّة.

أعمل مصمّما أنفوغرافيّا، هذا عملي الثاني الذي عمره الآن أكثر من 10 سنوات، و عليه فقد بدأت في اختيار الألوان المناسبة لغلاف الكتاب، و ساعدني في ذلك الأستاذ " سليم . غ "، مع صديقي " عبد الرؤوف "، عزمت على إنجاز تصميم مناسب لهذه الجهود المبذولة عن صدق، و مع مرور الوقت اكتمل كلّ شيء و تقرّر إصدار العمل في صورته النهائيّة يوم 16 أفريل عيد العلم لدينا في الجزائر.

إتفقت مع الأستاذ " مجيب الرحمن " المدير العامّ للشبكة المتخصّصة في نشر الكتب و الأبحاث و الدراسات الإنشاديّة القيّمة، " شبكة سما العالميّة " على نشر الكتاب إلكترونيّا عبر منتدياته، فوافق مشكورا ليكون في ذلك الأسبوع متوفرا للجميع، في 17 أفريل، في حين تأخر تدشينه لدينا إلى أسبوع آخر بناء على إدارة الجمعيّة التي لم تكن جاهزة بعد للتظاهرة الثقافيّة.

حاولت إقناعهم بإصداره ورقيّا عبر دار نشر بيد أنهم تهرّبوا من ذلك لارتفاع التكاليف، و المردود غير المضمون، فما كان عليّ إلاّ أن طبعت قرابة 100 نسخة اعتماداً على طابعة مكتبيّة من نفس نوع الطابعة التي سُرقت، أعمل في اللّيل و في النهار أتوجه إلى المكتب لمباشرة عمليّات الطباعة و التوظيب من السّاعة التاسعة صباحا إلى التاسعة ليلا، أخذت هذه العمليّة مني وقتا كبيرا مقارنة بإنجاز الأقراص المضغوطة التي كانت بضع دقائق كافية جدّا لإتمام القرص الواحد.

رتبنا كل شيء خطر على البال حتى دعوات الحضور كانت مختومة في أظرفة بريديّة، و ساعدني في تذكر الأطراف المعنيّة السيّد " سفيان . م " رئيس فرقة " أيادي الإبداع " رئيس فرع بلديّ لإحدى الجمعيّات؛ " عروس متيجة " التي يقع مقرّها في مدينة " بني مراد "، حوالي 05 كيلومتر شمال شرق ولاية " البليدة ".

أنهيت تصميماً كبيراً من أجل الإشهار لحفلنا، وضعت فيها صور المنشدين المشاركين من فرقة " أيادي الإبداع "، مع صورة الكتاب، و بعض العبارات التي توضع في مناسبات كهذه، و طبع منها " عبد الرؤوف " عددا مناسبا على اعتبار أنه يعمل لدى دار نشر مشهورة في العاصمة، زوّدت " سفيان " ببعض منها كي يلصقها في الثانويّة أو في أيّ مكان يراه مناسبا، كما ذكرته بالاتصال مع السيّد " مصطفى . ب " الذي اتفق معه مسبقا على تقديم الحفل، ثمّ هيّأت الأطفال نفسيّا و توكّلت على الله، لقد فعلنا الآن كل ما يسعنا فعله، حتى المقالات تمّ اختيار بعضها من طرف الأطفال لتلاوتها على الحضور يوم السبت 20 أفريل 2013، على السّاعة الثانية بعد الزوال، تاريخ مناسب فهو يوم العطلة الأسبوعيّة من أجل تسهيل حضور أولياء الأطفال، لقد اشترطت على المشاركات في الكتاب ضرورة إحضار أولياء أمورهنّ، هي فرصة ليتعرّفوا على ما يفعله فلذّات الأكباد.

و الآن دعوني أذكر لكم أسماء كلّ المشاركين في العمل : أماني الأحسن، بشرى العربي عيسى، وافية بلوناس، سليم عبد الله عثمان، سهام بلعربي، ليلى بسباس، مهدي بغداد، منال العربي عيسى، ناريمان مخنون، فتيحة بن عمار، فتيحة الجزيري.

رتّب محاسب الجمعيّة " زرّوق . ح " و هو اسم على مسمّى أموره الخاصّة بالحفل، لقد أفرحني لمّا رأيته رغم أني لا أتفاهم معه في كثير من الأشياء، أتى المكلّف بالهندسة الصّوتيّة بتجهيزاته التي راح يضعها استعداداً قبل الظهر، ثمّ بدأ الأطفال في التوافد شيئا فشيئا، و طالت مدّة الانتظار، لقد كنا نمنّي أنفسنا بحضور من وجّهنا لهم الدّعوات، أحسست أنّ أولياء الأطفال بدؤوا يتذمّرون من الوقت الذي ينقضي باستمرار و ما زال الحفل لم يبدأ بعد، تعمّدنا التأخير قرابة

السّاعة و لكنّ لا رئيس المجلس الشعبيّ البلديّ و لا حاشيته، قرّرنا أن نبدأ فقد أمهلنا الجميع الوقت بما فيه الكفاية، أعطيت الإشارة إلى " مصطفى " أن تكلّم، فراح بفصاحته المعهودة يشدّ الانتباه.

سار الحفل على أحسن ما كنت أتوقّع و لا سيّما بحضور بعض أولياء أطفال النادي، كأمّ " ناريمان "، و أبوي " ليلى " و " منال "، و " وليد " أخو " بشرى "، و السيّد " محمد بوزياني " أمين مكتبة البلديّة الذي لا يفوّت فرصة كهذه إلا و كان مع الأوائل، مع كثير من الأطفال منهم من كانوا معنا و انسحبوا، لولا الحضور المتأخر لرئيس البلديّة مع بعض من زملائه المنتخبين و العمّال، و مع ذلك كان توفيق الله منّة علينا أجمعين.

خطتنا المرسومة هي التركيز على الكتاب الجديد بتقديم مقتطفات منه يقرؤها الأطفال، كلّ واحدة تقرأ مقالة من مقالاتها، بينما تقرأ " نوال " المقدّمة، و تمنيت لو حضر كلّ من " مهدي " و " سليم " على الأقلّ كي يتسلّموا شهادات المشاركة في العمل ممضيّة باسم رئيس الجمعيّة و إمضائي؛ و مختومة منا نحن الاثنين حسب ما تقتضيه التقاليد.

تكلّم " مصطفى " عن " شبكة سما العالميّة " قليلا، و عن الكتاب و عن الإنشاد، كما قدّمت فرقة " أيادي الإبداع " بعض الفقرات المنوّعة، ثمّ وزّع " رابح " و " معمّر . ش " الحلوى و المشروبات للضيوف، و تمّ التقاط بعض الصور عبر الهاتف الجوّال من طرف الحضور الذين كانوا مسرورين بما نظّم من أجلهم.

في النّهاية بعد تسليم الجوائز و الشهادات الشرفيّة؛ سارع جميع الأطفال إلى أخذ نسخة من الكتاب مع القرص المضغوط، لدرجة أني لم أستطع تلبية طلبات العشرات منهم، إنتظرني البعض قرابة العشرين دقيقة كي يستحوذوا على نسخ مهرّبة عن أعين المحاسب الذي آثر الاحتفاظ ببعض منها للضرورة، و التقطت بعض الصور التي اخترت منها ما يصلح كون معظمها كان مشوّشا لا أدري كيف ؟، إستعملت آلة تصوير خاصّة بصديقي " رابح " الكاتب العام ريثما يحضروا الكاميرا الخاصّة بالجمعيّة، و لكنّها لم تحضر مطلقا.

كانت السّاعة تشير إلى الرابعة و النصف حين شعرت بتعب عامّ نتيجة الجهد الذي بذلته، و لكنه كان جهداً حلو المذاق، شعرت أني فعلت شيئا لم يفعله أحد في المدينة، رغم ما واجهني من صعوبات و عراقيل.

بعد مرور حوالي شهر؛ ذهبت إلى مدرسة " مهالي شريفة " أين تدرس " فتيحة بن عمّار " لإعطائها هديّتها مع شهادة المشاركة في الكتاب، بحثت عن المدير فلم أجده، قدّمني الحارس إلى أستاذة هناك تكفّلت بإيصال المغلّف إليها.

تحيّة من أعماق الفؤاد لكلّ من ساهم في هذا الحفل.

مرض رئيس الجمعيّة و قصّة المنشدة " أحلام أوميراوي "

قبل شهر أفريل 2013 دخل رئيس جمعيّة " النّسيم " للفنون و السّياحة إلى المستشفى لإجراء عمليّة جراحيّة، كانت المسألة خطيرة تستدعي التدخل الجراحيّ في أقرب وقت ممكن، لقد عانى المسكين كثيرا من مرضه إلى درجة أنه كان لا يستطيع الحضور إلى مقر الجمعيّة في أحيان كثيرة، و كنت أحتاجه من وقت لآخر فلا أجد أمامي من يتكفّل بمساعدتي سوى " عبد القادر " أو " رابح ".

أغلب النشاطات كانت متوقفة و كلّ العمليّات المالية تنتظر إمضاء المحاسب رفقة إمضاء الرّئيس، كنت أزوره حين تسمح الظروف بالزيارة، مرّة مع الكاتب العامّ و الأستاذ " نور الدّين . س " النائب الأوّل، و كان الآخرون يزورونه أيضاً، و مريضنا يستأنس بهذه الزيارات لأنها تذكّره أنه ليس وحيداً، بالطبع دون أن أذكر لكم الزيارات العائليّة.

غاب عن موعد تدشين الكتاب، و لكني كنت أعلم أنه يتابع المستجدّات، أو هكذا خُيّل لي.

من تداعيات مرض الرّئيس تعطّل كافة النشاطات الترفيهيّة للجمعيّة، في الواقع لم أفهم ما السرّ وراء تعيين 06 نوّاب له؛ ثمّ حين نحتاج لهم لا يقومون بنفس مهامّه ؟، هذا هو الشيء الذي أثارني بشدّة، لماذا لا يستقيل و يترك الأمور تسير مثلما هي عليه في الجمعيّات الأخرى ؟، لماذا لا يفوّض شخصا يكفينا عناء تعطيل المصالح ؟.

أسئلة كثيرة كانت تقلقني و لا أجد لها أجوبة، و أنا رئيس النادي فقط حتى أني لست منضمّا للمكتب، و لكن رغم هذا فمن حقي أن أجد كلّ شيء يسير على ما يرام.

طالت المدة و أصبح الأطفال يسألون عن رحلة ينفسّون بها عن أنفسهم، و أنا أخبرهم دائماً أنّ الرّئيس في المستشفى و عليه؛ فكلّ المصالح معطّلة، كنت دائما أمنّي نفسي أن كل شيء سيتحسّن حين يشفى، و الأطفال أطفال و لو صبروا صبرنا، منهنّ من أضحى الغياب السّمة الغالبة عليها، بل و تؤثر على أخريات محتاجات للتخلّص من الضغوط التي ما فتئت تتراكم.

كان مساء جمعة و كنّا في حصّة التّدريب الأسبوعيّ مثلما هي العادة، لقد لاحظت أنّ عددا من العناصر انقطعت عن الحصّة بحيث لو عادت الآن لكانت متأخّرة جدّا عن الزميلات، و فجأة حضرن، لقد كنّ على ما يبدو في رحلة لبعض الأقارب، شعرت بغضب شديد و أنا أنتظر لأسابيع عودتهنّ للفرقة دون جدوى، قلت لهنّ في سؤال صريح : " هل ما زلت في الفرقة أم توقّفت ؟ "، قالت إحداهنّ : " توقّفت "، قلت : " حسنا؛ إذهبي إلى منزلكم، و من توقفت معها تذهب إلى المنزل نهائيّا "، كان ذلك قراري الذي اتخذته مباشرة دون تفكير، و لست نادما على شيء، و لكن في الوقت نفسه أحسّ أني ظلمتهنّ بطريقة أو بأخرى، العمل ثمّ العمل ثمّ العمل شيء يؤدّي إلى فقدان الصّواب، و في الآن ذاته لا أستطيع تنظيم رحلة نقتل بها هذا الرّوتين قبل أن يقتلنا، و معهنّ ذهبت " أحلام أوميراوي "، لقد ضحّت هذه الطفلة كثيرا من أجل الفرقة، كانت تأتي إليّ من حين لآخر مساء الثلاثاء تقضي بعض الوقت ثمّ تنصرف، شعرت أنّها عيّنة من

عشرات الأطفال الذين يبحثون عن شيء مفيد يملؤون به الأوقات خارج الدّراسة، كانت مجتهدة لدرجة أنّها من القليلات اللّائي وصلن إلى نقطة " صول " دون كبت، هذا نتيجة عمل متواصل دؤوب، فقد أحسنت التوفيق بين حصّة التدريب و بين حصّة الدّروس الخصوصيّة، ثمّ يذهب كلّ هذا أدراج الرّياح في نزوة عابرة، أعلم من صديقاتها أنها كانت تريد العودة لكنّ عزة النفس تمنعها، لم تجد السبب المناسب الذي يشفع لها للعودة إلى أحضان النادي.

ما أمقته في الأطفال هو استهزاؤهم بالتدريبات، و في موعد المشاركة تجدهم أمامك، أو على الأقل يبدون الرّغبة في المشاركة التي لم يكلّفوا أنفسهم التحضير لها بجدّية تحفظ لهم ماء الوجه، مشاركاتنا هي امتحان كامتحانات الدراسة، بها نكتشف و يكتشف الجمهور مدى قوّتنا، و لو ذهبنا إلى أيّ امتحان دون أن نأخذ معنا سلاحنا؛ من الأفضل أن نبقى في أماكننا، على الأقلّ كي لا يقتلنا الآخرون بعيونهم.

كانت " أحلام " تحسن تنظيم وقتها جيّدا بين التدريبات و دروس الدّعم التي كانت و ما زالت تتلقاها، لم تكن الوحيدة التي تكلّف أباها دفع ثمن ساعات إضافيّة لرفع مستواها الدّراسيّ؛ فأغلب أطفال الجزائر مهووسون بالدّروس الخاصّة التي يقدّمها لهم أساتذة من الأطوار الثلاثة، و لكنّها كانت المثالية في الاستفادة من الوقت الضيّق المخصّص لها عبر الأسبوع، هذا الوقت الذهبيّ الذي لا يحسن الجميع استغلاله على النحو المطلوب و الملائم، حين كنت تلميذاً لم أتلقّ في حياتي ما يتلقّاه هؤلاء، كانت الدّروس سهلة بالنسبة لي، لا أفهم الآن لماذا يشتكي الكلّ من الصّعوبة ؟، أعتقد أن السرّ الوحيد هو التركيز الذي يفتقده التلاميذ في الحصّة؛ ممّا يدفعهم إلى زيادة الجرعات التعليميّة خارج الأوقات الرسميّة.

أو ربما لأني كنت ذكيّا زيادة عن اللّزوم ؟ ... ممكن !.

مهزلة " تيبازة "

في 02 جوان 2013؛ نظمت جمعيّة " النّسيم " للفنون و السّياحة رحلة ترفيهيّة إلى مدينة " تيبازة " السّاحليّة، كانت فكرة الرّحلات تراودني باستمرار، في اللّيل و النهار، و خاصّة أمام إصرار الأطفال، لكن سوء التنظيم هو ما كنت أخشاه بالدّرجة الأولى، و ربما تتعقد المسألة و تتدهور الأوضاع إلى كوارث، من يدرِ ؟، حريق غابة يبدأ عادة بشرارة صغيرة في حجم سنتيمتر مكعّب.

أخبرني الرّئيس أننا مدعوون لتمضية يوم كامل في " تيبازة " بمناسبة العيد العالميّ للطفولة، فأخبرت الأطفال بدوري لتحضير أنفسهم لليوم المقرّر الذي كان يوم السبت الفاتح من جوان، و من لا تملك ملفّا كاملا لدينا؛ عليها بإكمال أوراقها في أقرب وقت قبل الرّحلة، علمت أن كل شيء جاهز، ثمّ تأجلت الرّحلة إلى الأحد بناء على اتصال هاتفيّ من شخص يعمل هناك.

كنت حريصاً أن يحضر الأطفال جميع الوثائق الضروريّة للتسجيل في الجمعيّة بصفة رسميّة، و في نفس الوقت لا أريد أن أثقل عليهم، فاستخراج الوثائق هو أكثر ما يكرهه الجزائريّون، نظراً للوقت الضائع في الطوابير من أجل معلومة هي مؤكّدة في وثائق أخرى.

من المفروض في عمليّات مثل هذه أن يكون برنامج الرّحلة واضحاً و مصادقا عليه من المكتب، على الأقل إن أردنا إحداث المفاجأة السّارة للأطفال، الذين استيقظوا باكراً و هم يمنّون أنفسهم بنفس ترفيهيّ و لا في الأحلام، غير أنّ لا شيء من هذا القبيل حدث، بل لم يكن حتى التأمين الواجب علينا أن نقوم به لتنقل الأطفال، فلو حدث حادث ما لا قدّر الله من سيتحمّل المسؤوليّة ؟، و كيف سنجيب الأولياء الذين وضعوا ثقتهم فينا ؟.

تأخرنا في الانطلاق قرابة السّاعة بسبب حافلة البلديّة المعطلة مما دفع بالرّئيس إلى كراء حافلة لأحد الخواصّ بقيمة 3000 د .ج، فرحة عارمة ملأت القلوب البريئة، طبعا هم لا يعلمون ما كنت أعانيه في داخلي من اضطراب، و لا يفهمون معنى أن نذهب في جولة ترفيهيّة دون تأمين، إتصلت بالرئيس عن طريق الهاتف المحمول ليفاجأني بتعليمات غريبة مثل : " إنتظروني في الميناء "، و وسط حشود من النّاس حضروا من أجل الانطلاق الرسميّ لموسم الاصطياف الذي أشرف على تدشينه أحد الوزراء؛ إستطعت تسيير أكثر من 15 طفلا و طفلة بصعوبة بالغة، لقد أحضر أطفال النادي الإخوة و الأخوات، غابت عن هذه الرّحلة " فتيحة بن عمار " و " ناريمان محنون " رغم أني كنت أنتظر تنقل والدتها معنا.

تلهّينا بمشاهدة عروض الخيّالة بلباسهم التقليديّ و بنادقهم التي زلزلوا بها أقدامنا و هم يطلقون النار في السّماء تارة؛ و تارة أخرى في الأرض.

حضر الوزير و ذهب لمكان آخر و ما زال رئيس الجمعيّة لم يحضر، إحتاجت طفلة أو اثنتين فيما أذكر إلى المرحاض و لم يكن المكان مساعداً على ذلك، فلجأتا إلى أحد البيوت القريبة، كانت بعض النسوة تتجاذبن الحديث أمام الباب، لا

شكّ أنهنّ كنّ يتكلّمن عن زيارة الوزير، إتصلت برئيسنا مجدّدا و في كل مرة من المرّات يقول أنه قريب منّا، ثم فجأة ظهر جالساً في كافتيريا، جلس الأطفال في طاولات قريبة منا يتناولون بعض المثلجات التي تفضل بشرائها، و على تلك الطاولات وعدهم بملابس موحّدة أثناء المشاركات، تلعثم في حديثه حين سألته عمّا فعله بشأن التأمين، غيّر الحديث بسرعة و رحنا نتمشّى عبر رصيف الميناء حتى الظهر، هو وقت الغداء، إنتقلنا قرابة الكيلومتر مشياً على الأقدام لمقرّ المخيّم الصّيفيّ، كل شيء يتحرّك لأن جميع الأطفال كانوا هناك، تخيّلوا خليّة النحل، بصعوبة أيضاً أحضر للأطفال بعض الطعام على شكل ساندويتش، بطاطا مقلية مع قليل من اللّحم المجمّد المفروم، و علب عصير برتقال مع قارورات بلاستيكيّة لمياه معدنيّة، كنّا ننتظره تحت ظلّ بعض الأشجار، بينما كانت " أمينة " أخت " منال " و غيرهنّ مشغولات بلعبة التخفي، قلت في نفسي : " إذا كان و لا بدّ؛ لماذا لم يعلمهنّ بضرورة إحضار غدائهنّ من المنزل ؟، هي طريقة تلجأ إليها كلّ الجمعيّات حين يقدّرون عجزاً في الطعام، أو تضييعاً للوقت "، و لكن سوء التسيير الذي غلب على الوضعيّة العامّة أعمى كلّ البصائر.

بعد وجبة الغداء اختلفت الآراء حول الوجهة التالية، لقد اختفى الرئيس بسيّارته و تركني وحيدا لا أدري ما أفعل، لا برنامج و لا هم يحزنون، وإذا كنت لا أعرف ما سأفعل؛ فإني أدرك جيّدا ما يتوجّب عليّ فعله.

إتصلت به لأتلقى تعليمات غامضة، في لحظة غضب قلت : " قل لسائق الحافلة أن يأتي حالا لنرجع الأطفال "، أنا لا أستطيع العمل في مناخ كهذا، كنت مصمّماً على العودة قبل أن يحدث للأطفال أيّ حادث، خروجنا من مدينتنا دون تأمين معناه غياب تغطية قانونيّة تحمينا عند الطوارئ، فأيّ شيء أمرّ من هذا ؟، إضافة إلى برنامج ضبابيّ لا وجود له أصلا، و رئيس الجمعيّة الذي من المفروض أن يكون معي لتحمّل مسؤوليّاته كرئيس يريد التملّص بأيّة طريقة كانت.

تقطّع حذاء " أمينة " بسبب السّير الطويل في شوارع المدينة، و أخيرا التقينا برئيس الجمعيّة الذي أخذ في التقاط بعض الصّور للأطفال بهاتفه المحمول، كي يشعرهم أننا في رحلة، قلت في نفسي : " من المفروض أن يكون معنا مصوّر محترف هو من يلتقط الصّور بخبرته و بحكم عمله، لا أن نعبث في شيء كهذا أيضا، ماذا أفعل بصور لا تصلح حتى للفايس بوك ؟ "، كانت الكاميرا الخاصّة بالجمعيّة و التي حفظها الله من السّرقة معي، و لكن ببطاريّة تحتضر، لقد أحضرها لي المحاسب صباح هذه الرّحلة المشؤومة.

أحسست أنّ الأطفال أدركوا المهزلة؛ و أنهم يتظاهرون بالسّعادة فقط لباقة منهم، و درءاً لاتساع هوّة المشكلة بيننا نحن الكبار.

نحن الآن نتجه إلى الآثار الرّومانيّة، لم تعجبهم كثيراً بقدر ما كان الشاطئ قبلة مضمونة لقلوبهم، و استمرّ التقاط الصّور ليتدعّم شعوري السّابق أكثر و أكثر، كلّهم كانوا سعداء إلاّ أنا، كنت أبدو غاضبا جدّا دون وعي منّي، لأنّ كلّ شيء حولي يثيرني كي أغضب.

السّاعة تشير إلى الرّابعة و النصف مساء حين خرجنا من منطقة الآثار، لنعود مجدّدا إلى الميناء، أين اكترينا زورقين مطّاطيّين للتجوّل في المياه القريبة، قالت " بشرى " أنها تريد الذهاب إلى حديقة التسلية، أردت تلبية الطلب و لكن تذكرت التأمين الذي ينقصنا، و عليه فإنه من الواجب أخذ الحيطة و الحذر فقد يحدث لنا حادث هناك، بادرتني " ليلى " قائلة : " لماذا لا تضحك ؟ "، تجاهلت كلامها فهي ما زالت لا تعلم عواقب المغامرة التي نخوضها.

لاحظت أن بعض الأطفال يحبّون جدّا ركوب الخيل، هناك من يوفر هذه الخدمة مقابل 20 دينارا دون أن يتركك وحيدا مع الحصان، ركبت " كنزة " و " ليلى " و غيرهنّ، بينما تسلّى الذكور بجولات في الميناء على شمس الأصيل الدّافئة.

هي طرق للتنفيس عن النفس، تفيد الطفل و الكبير معاً، ترفع المعنويّات و تبدّد الطاقة السلبيّة، على أن يتمّ كلّ ذلك في إطار منظم، و وفق خطة و برنامج مدروس واضح من البداية دون أن ننسى وضع خطّة بديلة.

في طريق العودة نجونا من حاجز تفتيش تابع للدرك الوطنيّ، لا أعلم بالضبط كيف أنّ العون لم يشر إلى السّائق أن توقف ؟، رغم أن كل سيّارة كانت تحت عينيه، تفحّص دقيق في إطار المخطط الأمني المعهود لكلّ صائفة " دلفين ".

كان رئيس الجمعيّة يسير خلفنا بسيّارته و كأنه يعلم بهذا الحاجز، و حين سألته عمّا ستكون عليه ردة فعله لو أوقفنا الدّرك و طلبوا وثائق التأمين ؟؛ قال : " إنّ الأمر كلّه متوقف على كيفيّة الحديث معهم "، قلت في داخلي : " لماذا نوصل أنفسنا إلى الإهانة ما دمنا قادرين على إيجاد حلول مسبقة ؟! "، و الجزائر معروفة بحوادث المرور.

لقد أنشد الأطفال في الحافلة فرحين بهذه المغامرة، و هتفوا لي أن أجد المرأة المناسبة لي و أتزوّج، قرّرت ساعتها أن أؤمّن زوجتي المستقبليّة في أقرب وكالة تأمين قبل تاريخ العرس، على الأقلّ سيدفعون لي نصف صداقها إن حدث لسعيدة الحظ مكروه.

السّاعة الآن تمام السّابعة و النصف، أنزلنا جميع الأطفال أمام قاعة السّينما، كنت على وشك تسليم مفتاح المكتب للرّئيس معلنا له توقفي عن النشاط معهم بصفة نهائيّة حين بادرني بالقول : " لا تغضب، هذه الأشياء تحدث دائما في الجزائر ! ".

05 جويلية أولى المشاركات

إستمرّت تدريباتنا بصفة عادية وفق برنامج يهدف إلى ترقية القدرات الذاتية لكلّ واحدة، توقيت الفاتح من نوفمبر موعدنا الحاسم، لكن رئيس الجمعيّة أكّد لي أن أولى المشاركات يجب أن تكون في الذكرى 51 لاستقلال الجزائر.

تخوّفت قليلا من هذا الخلط، لقد اتفقنا على موعد منذ البداية و ها هو اليوم يقدّمه بأكثر من 04 أشهر، يبدو أن في الأمر شيئا ما لا أعلمه، لا بأس أمامنا شهر واحد فقط و النتائج التي كنت أنتظرها بدأت في الظهور و لله الحمد، إستشرت الأطفال فأبدوا رغبتهم في المشاركة، أكّدت عليه في مسألة اللّباس الموحّد، و هنا كانت المشكلة، قال : " كلّ واحدة تحضر لباسها الشخصيّ، لباس العيد "، قلت : " ألم تعد بلباس موحّد يفصّل للجميع في المشاركات ؟، ماذا سيقول الناس عن فرقة كلّ واحدة فيها بلباس مغاير ؟ "، قال : " هذه المرّة فقط ثمّ نرى كيف سنتدبّر الأمر مستقبلا ؟ ".

واجهت الأطفال بكلّ صراحة : " لا يوجد لباس رسميّ موحّد و الأمر يعود لكم، إتفقوا على كلمة واحدة و أنا معكم "، فكانت كلّ الاقتراحات أن نشارك.

ينتظر المنتخبون في الجزائر ذكرى الخامس من جويلية و الفاتح نوفمبر لإبراز وجودهم أمام السّلطات العليا في البلاد، و أنا بدوري كنت أنتظر انتهاء الأطفال من اختبارات نهاية السّنة الدّراسيّة لأتفرّغ لهم و يتفرّغون لي، إذ كانت من تدرس آخر عام لها في الابتدائيّة، و عليه فإنّ تخوّف الأولياء على مصيرها شيء معقول جدّا، كما كانت لديّ من هي في السّنوات الأولى من الإكمالية أمثال " بشرى " و " ناريمان " و " منال " و " أماني " و " كنزة " و " وفاء " و " ليلى ".

لجأت على إثر الواقع الجديد إلى تغيير موعد التدريبات ليصبح بمعدّل مرّتين أسبوعيّا، الإثنين و الخميس على السّاعة العاشرة صباحاً إلى غاية منتصف النهار، توقيت رُحّب به كثيراً حسب ما علمت فيما بعد، لولا الكسل الذي يعاني منه البعض، أحضرت " منال " 03 منشدات جديدات، " بشرى " و " تماني " و " زينب "، سرّني كثيرا ما فعلت هذه المنشدة، يبدو أخيرا أنها فهمت معنى الدّعوة الفنيّة، بدت على هؤلاء الثلاثة الجديّة في العمل، لقد لمست تطوّر " تماني " السّليم لا سيّما صوت " ري "، الذي كنت أسمعه صافيا منها و كأنّها آلة موسيقيّة.

على مستوى إدارة الجمعيّة كانت الآراء تتضارب و تتضارب كلّما اقترب الموعد، تارة يُقال أننا سنشارك في السّاحة العموميّة بحضور الوالي، و تارة أخرى يُقال أننا سنكون في قاعة السينما، و مرة يقال أنّ الحفل سيكون هنا في المركّب الثقافيّ !؛ و عليّ أن أضع جميع الاحتمالات الواردة في الحسبان.

إستقرّ الرّأي أخيراً على قاعة السّينما في حوالي السّاعة الرابعة بعد الظهر نظراً لحرارة الصّيف.

بناء عليه يجب أن أنقل جميع المعدّات إلى المكان الجديد، ساعدني " عبد الرّؤوف " أستاذ الرّسم رفقة بعض عناصر النّادي.

إخترنا أنشودتين؛ " عليك مني سلام "، و " رحمن يا رحمن " للمنشد العالميّ " مشاري العفاسي "، من حقّنا أن نظهر أقوياء في أولى مشاركاتنا، و ألاّ نقدّم سوى ما نتحكّم فيه، على الأقلّ بنسبة عالية و إن لم تكن تامّة، فالأخطاء لا يمكن تلافيها مهما كان مستوى الفرقة؛ هذا ما أخبرني به الإخوة في جهاز " أنسام الصّباح "، لكن نعمل قدر استطاعتنا على تقديم الأفضل و الله خير وكيل.

جاء بعض الأطفال للمشاركة في مسابقة الرّسم الشكليّة التي أقيمت يوم الجمعة صباحا، بعدها أخذت أعضاء الفرقة للتعرف على مكان العرض عن قرب، فالمعاينة في غاية الأهميّة، بوسع هذه الخطوة القضاء نهائيّا على الخوف من المجهول، تحمّست للفكرة بشدّة كلاّ من " ليلى " و " منال "، قاعة السينما بعيدة عن المركب الثقافيّ قرابة 50 مترا، كانت ملكاً لأحد الخواصّ ثمّ أخذتها البلديّة، و هي الآن تابعة لأحد الخواص مثلما كانت سابقا؛ وجدت حفلا مقاما هناك؛ كان أبو " منال " مع الحضور، شرحت لهنّ بعض النقاط التي يجب أخذها بعين الاعتبار، ثمّ رجعنا من حيث أتينا.

بعد صلاة الجمعة جاءت بعض البنات ممّن دعاهنّ الفضول للحضور، و اضطررن للانتظار حتى يكتمل العدد، في المركّب الثقافيّ أقامت جمعية فلكيّة نشاطا تعريفيّا بعلم الفلك، أغلقت المكتب و توجّهنا مباشرة إلى قاعة السّينما لإجراء التسخينات الصّوتيّة، كلّ الأصوات تُسمع بسلامة تامّة، أدركت حينها أني نجحت في أوّل امتحان لي، ها هي القاعة ملأناها بذبذبات صحيحة في حين يشتكي آخرون من الضّعف و من النشاز.

من المفروض وفق البرنامج الموضوع قيد التنفيذ أن نشارك مع فرقتين؛ فرقة " أيادي الإبداع " للإنشاد و التغريد للمشرف " سفيان . م "، و فرقة أخرى لا أعلم اسماً لها تخصّ السيّد " رابح . ف " أستاذ في المدرسة الابتدائيّة على أبواب التقاعد، هو النائب الثاني في جمعيّتنا، فرقته مزيج من الإنشاد و المسرح؛ و الإنشاد المسرحيّ و المسرح الإنشاديّ؛ ثمّ التغريد و الظل الصّينيّ ... إلخ، و مع هذا فقد ألغى مشاركته في اللّحظات الأخيرة، أمّا " سفيان " فظهر بصورة باهتة؛ لأنّ مكان التدريب الذي يطوّر فيه أصوات عناصره قاعة صغيرة جدّا لا تفي بالغرض، و لولا آلة العزف الموسيقيّة التي كان يستعملها !.

لدينا خط أحمر من خطوطنا الحمراء لا نتجاوزه، آلات العزف الموسيقية نوظّفها لنصحّح بها أصواتنا البشريّة و لا نستعملها لا في العروض و لا في التسجيلات، كي نمنع أيّ غزو للهويّة الحقيقيّة للإنشاد، باستثناء الإيقاعات طبعاً ... الإيقاعات الصّافية غير المخلوطة بآلة عزف.

للأسف الشديد بدأ الإنشاد في الانحسار و ظهر مكانه فن التغريد، و لو سألنا أنفسنا عن كيفيّة ظهوره ؟، لوجدنا أنه بدأ باستعمال آلات العزف في الإنشاد رويدا رويدا على شكل خلفيّات، ثم أصبح على شكل مرافقات، و بدأنا نتلاشى.

في نفس الوقت كانت تجرى احتفالات أخرى في السّاحة العموميّة، لم يكلّف رئيس البلديّة نفسه عناء التواجد و لو تشجيعاً للأطفال، و لا نائبه المكلّف بالثقافة، كنت أمام الباب؛ حين لمحته قادماً بسيّارة الخدمة التي نزل منها مقتربا

مني، صافحني مبتسما بدبلوماسيته المألوفة، سأل عن نائبه ثمّ ذهب لمّا علم بعدم حضوره.

ظننت لوهلة أنه جاء من أجلنا؛ و ربما ظن الأطفال ما ظننت، أو هكذا أردت إقناع نفسي، غريب أن يغيب من يمثل السّلطات عن حفلة أقيمت بصفة رسميّة.

قبل أن يحين دورنا أحضرت لبناتي قارورات ماء معدنيّ و بعضا من الحلوى، و لقد كنت مسروراً جدّا بما قدّمنه للجمهور الذي رأيت على وجوه البعض منه علامات الذهول، رغم مشكلة اللّباس الموحّد التي عانينا منها إلاّ أنّ ذلك لم يكن عائقاً، كنت أرى " أسماء " في لباس أخضر و " منال " في سروال برتقاليّ و " ليلى " في آخر أزرق، " سهام " في الأخضر اللاّمع، " بشرى " في الأسود و الأبيض ... فسيفساء لا تعكس أبداً وحدة الهويّة.

قولي أني كنت مسروراً بما تمّ تقديمه لا يعني أبدا أن لا وجود للأخطاء، و لكن لا أستطيع محاسبة البنات عليها لأنها ليست من الأولويّات في تلك اللّحظة، و رغم نقد البعض إلاّ أني أنا المشرف على هذه الفِرقة و سأبقى كذلك إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا، و أنا وحدي من يحاسب منشداتي.

فكّرت أن أعهد لطفلة أو لاثنتين بطاولة مزج الأصوات و ما تحويه من لواحق ثمّ تذكرت الأزمة المالية التي نعاني منها، فأجّلت الموضوع إلى وقت مناسب.

كان " عبد الرؤوف " يلتقط بعض الصّور التي أوصيته بالتقاطها، باذلا كلّ جهده، كما كان بعض الحضور يفعلون نفس الشيء، كأخت " كنزة " مثلا، و الأستاذ " عبد القادر " الذي كان مشغولا بتصوير ابنته " دعاء ".

حين عاينت فيديوهات التسجيل؛ رأيت مسؤول المركّب الثقافيّ الذي جاء في مكان " عبد القادر " لمّا قدّم استقالته بعد السّرقة؛ السيّد " محمد . ب "، و كان حاضراً بطبيعة الحال " ياسين " أخو " بشرى " و السيّد " محمد . ب " مدير تصوير متقاعد في التلفزيون الجزائري.

كلّ ذلك و نحن نشتغل دون إيقاع بسبب عدم وجود مأخذ كهربائيّ مناسب، كلّ المصائب يمكن أن تحدث حين يكون غيرنا يتحكّم في أشياء تخصّنا، إعتمدنا على الوزن الداخليّ لكلّ واحدة، و هذا ما كنت أسعى جاهداً لتصحيحه، فإذا تصحّح الوزن تصحّح تتبع الإيقاع مهما كان هذا الإيقاع، أحسست مرّة أخرى بطعم النّجاح، ما فعلته كان استراتيجيّا، و حتى و لو كنّا نحن المتحكّمين في كلّ الآلات الموجودة؛ ثمّ انقطع التيّار الكهربائيّ ؟.

ظهرنا و كأننا تجرّدنا من مساحيق التجميل ليرى الكلّ جمال وجوهنا الحقيقيّة.

البرنامج الصّيفيّ و مناورة الفاتح نوفمبر

أشار عليّ المسؤول الجديد الذي خلف " عبد القادر . ب " على رأس المركب الثقافيّ البلديّ؛ بتوقيت ملائم جدّا في رمضان، ساعة واحدة بدءاً من العاشرة صباحا بدل السّاعتين، تخفيفاً عن الأطفال، أردت الاستمرار في العمل موازاة برغبة البعض حماية لأحبالنا الصّوتيّة من التراجع.

في مدرسة الاختصاص يختلف الأمر عن مدرسة التتابع، فالفرقة الإنشاديّة تبقى في حالة تدريب على مدار العام، على أن يأخذ جميع الأفراد عطلة سنويّة مدة شهر واحد بالتناوب، يضمن هذا المنهج بقاء الفرقة في جهوزية تامّة، كي لا يكون شغور المكان كبيراً فيؤثر سلباً على مستوى الأداء، كما قمت باختبار تحضيريّ للقدرات الفكريّة للإنشاديّات، حرصت أن يكون بعد الانتهاء من اختبارات نهاية السّنة كي لا يتشوّش الذهن، فكانت النقاط متفاوتة من 12 إلى 20.

خططت للمشاركة بعد رمضان في الإذاعات المحليّة، خاصّة إذاعة " البليدة " و إذاعة " تيبازة "، أردت استغلال الوقت المتاح أمامنا فنحن ما زلنا في فصل الصّيف و النهار طويل جدا مقارنة بفصل الشتاء، ثمّ إنّ الأطفال في العطلة السّنويّة، و حتى و لو انطلق الموسم الدّراسيّ؛ فهو في بدايته، ما زالت الدّروس لم تتراكم، و ما زال هناك متّسع من الوقت لتحين فترة الفروض و الاختبارات.

فكّرت في ضرب عصفورين بحجر واحد، إعتمدت على أناشيد لم يسمعها الناس من قبل، فهي أناشيد جديدة نسبيّا ما زالت لم تأخذ نصيبها الكامل من الانتشار، أو قديمة نسيها النّاس و مجهولة في الآن ذاته للجيل الجديد.

على كلّ حال استقرّ الأمر على أنشودة " بعدي عنك " التي غيّرت عنوانها إلى " عشقي بلدي " تماشيا مع الوضع العامّ، للمنشدين اليمنيين " محمد السيّد " و " محمد سيف "، مع أنشودة أخرى " إنّي مسافر " للفنّان " راجي النّور "، لا أدري كيف كنت متأكدا أن مشاركتنا بهاتين ؟؛ مع ثالثة بالإسبانيّة إن تحكّم الأطفال فيها جيدا؛ سيترك أثراً طيّبا في كل مكان نذهب إليه، كنت أحسّ أنّ هذا هو الرّأي الصّواب، فكلّ الأسباب متوفّرة، لكن الأطفال لم يحترموا خطة العمل المتفق عليها، وجدت نفسي رفقة نصف أفراد الفرقة، و لمّا تحضر الغائبات تحضرن بأخطائهنّ، رغم أني منحت للجميع عطلة 10 أيّام ابتداء من العشر الأواخر من رمضان، و اتفقنا على العودة مجدّدا بعد عيد الفطر المبارك مباشرة.

في الواقع لا أستطيع منح عطلة أطول من هذه؛ مراعاة لمصلحة النادي، و خاصّة الفرقة.

في هذه الفترة؛ قرّرت البلديّة إجراء بعض أعمال الصّيانة على المركب الثقافيّ، على مستوى السّقف الذي تدهور منذ العام الماضي نتيجة اللاّ مبالاة بالثقوب التي تتسع باستمرار، و يتسع معها حجم الماء النازل إلى المكاتب و القاعات، فأغلقت المركب، في الحقيقة لم تكن الأشغال هي الدافع وراء هذا؛ بل المؤامرات التي تحاك هنا و هناك، و الحسابات الخاصّة بكلّ طرف.

لقد قال لي حارس الفترة النهاريّة " خليفة " أنّه حاول إقناع أعضاء الجمعيّة مرارا بضرورة إصلاح السّقف قبل أن يتطوّر الأمر إلى ضرر أكبر، و لكن لا أحد التفت إليه.

لم يكن بعض نواب المجلس الشعبيّ البلديّ على وفاق تامّ مع " سليم . ب "، و عليه؛ تمّ تدبير هذا المقلب لينسحب من المقرّ آخذا معه كل تجهيزاته، هو حقّ أريدت به التغطية، لكن الضرر لحق بنا نحن؛ أمّا هو فلم يتأثر، لا أفهم لماذا عندما لا يتفق شخصان يستعملان الطرق الملتوية بدل المواجهة المباشرة ؟، هذا النفاق لا أحبّه، و لا شيء أسلم من المواجهة، فقد تتضح بعض المواقف التي اتخذناها بناء على معطيات لم نفهمها جيّدا.

الصّيف على وشك الانتهاء، و الأطفال بحاجة إلى رحلة ترفيهيّة يستعيدون بها قواهم النفسيّة، و كلّما اقتربنا من الخريف تتقلّص فرصة الذهاب أكثر فأكثر، أمّا أعضاء الجمعيّة فلا أدري أين ذهبوا و أيّ الأراضي ابتلعتهم ؟، علمت بعد مدة أن قسماً منهم في مخيّم على الشاطئ مع عائلاتهم.

أحيانا نشعر بالغضب أمام هذه التصرّفات، أمام التهميش الذي يلاقيه الأطفال ... أمام الثقة الموضوعة فينا.

و كما هي العادة دائما؛ وجدت نفسي مع عدد بسيط من الأطفال و على رأسهم " سهام بلعربي "، الطفلة التي لا تغيب أبدا.

كنت أطمئن نفسي أن أتمّ العمل يوم الخميس، و إذا جاء الخميس و رأيت النقص الواضح في الأفراد عدت أطمئنها بإتمامه يوم الاثنين، و هكذا دواليك، تفاؤلي الشديد لم يفدني في شيء، مع غياب نصف الفرقة لا يستطيع مشرف يحترم عمله أن يتمّ ما بدأه منذ أشهر، تنتظرني التوزيعات التي يجب أن أنتظر حضور الجميع لأوزّعها عليهم، ثمّ أرى هل استوعبوها أم لا ؟.

يمكن أن أتسامح مع غيابين أو ثلاثة على أكثر تقدير، 12 عنصراً يمكن أن يغطّوا على أخطاء الثلاثة، أمّا أن يغطي 07 أو 08 على 07 مثلهم؛ فهذا غير منطقيّ البتة، لدينا مشاركة استراتيجيّة؛ و ما زلت لم أضع اللّمسات النهائيّة بعد، و مكتب الجمعية الذي لم يجتمع منذ مدّة و ضغوطه كي أشارك من جهة؛ مع ضغوط البلديّة التي لا تعرف خبايا ما يجري عندنا من جهة ثانية.

كلّ ذلك أدّى إلى انفجاري غاضبا مرة في وجه الأطفال، غابت " ليلى " ثمّ عادت و كأنها لم تعمل معي أبدا، كانت سمراء نتيجة التعرض لأشعة الشمس، كل شيء بدأ في الانهيار أمامي، فجأة و شيئا فشيئا، و أنا لا أستطيع أن أحرّك ساكنا، حين رجعت بعض الغائبات عادت نفس الأخطاء التي كنت أحسب أنّنا انتهينا منها، مستوانا في تدهور، و كلّما تناقص عدد الحضور؛ زاد الضغط عليهم، إذ أدنى تلعثم أو أيّ خطأ سيُكتشف ببساطة من قطّ يسير في الشارع، و هو أمر لا أرضاه على الإطلاق، تعلّمت منذ صغري أن أتقن العمل ما استطعت، و لا أغمض جفني حتى أتحقّق من مدى جهوزية كلّ شيء، و كأننا على وشك خوض معركة؛ نتفقد أسلحتنا و الذخيرة؛ أو هو الموت المحقق بكل تأكيد.

هل أكون قد أخطأت حين أعدت كل شيء إلى المكتب و خرجت مهدّدا بتوقيف النادي بصورة نهائيّة ؟، كنت أقصد توقيف الفرقة فقط، لأنّ الجهود الموجهة لإقامتها أصبحت تكاليفاً باهضة يوما بعد يوم، كنت في البلديّة مع رئيسنا نستفسر عن سبب وجيه لغلق المركب الثقافيّ، و أشتكي من وضعيّتي الآيلة إلى التآكل، لقد قلت حين سُئلت أنّ لديّ 15 منشدة تنتظر فضاء للنشاط، و الآن أجد أمامي 08 أفراد فقط، أين ذهبت الأخريات ؟.

في حصّة الخميس خيّم الوجوم على الأطفال، لقد أدركوا أن ما فعلوه غلطة شنيعة في عرفنا نحن مدرسة الاختصاص، ما فعلوه سندفع ثمنه جميعاً دون استثناء، قرّرت في اللّيلة الماضية توقيف الفرقة إلى إشعار آخر نتيجة عدة أسباب، بصراحة لا أستطيع العمل في مناخ مماثل، كل شيء حولك يضغط عليك، و أنت وحدك تقاوم و تقاوم، و من ؟، الذين من المفروض و المنطقيّ أن يقاوموا معك لا أن يكونوا ضدّك بتجاهلاتهم و عشوائيّة تصرّفاتهم و تفكيرهم الفوضويّ.

هذا تفكيري الخاص الذي خرجت به من تجارب الماضي، من المستحيل أن ننجح إذا لم نسر جميعاً في طريق يضمن النجاح، ثمّ ما هذا النجاح الذي نسعى إليه ؟، ما تعريفه و ما مفهومه ؟، هل هو العبث و اللّعب أم القواعد العلميّة التي ننقلها للطفل كي يؤسّس حياته على نهج سليم ؟.

نحن الآن في أكتوبر 2013، في دار الشباب لمدينة " العفرون "، دعاني الأستاذ " عبد القادر " إلى ورشته هناك، المسكين لا يحب العزلة، عندما يرسم يستأنس بوجود شخص معه يبادله الحديث، في هذه الأيّام رطوبة عالية اتحدت مع الحرارة المتبقيّة من أشهر الصّيف الذي راح يودّعنا، فأضحى الجوّ خانقا لدرجة لا تُحتمل، في المركب تبدأ هذه الظاهرة الجويّة من السّاعة الحادية عشر صباحاً، و تستمرّ إلى غاية الخامسة، أمّا في الخارج فالأفضل أن تكون تحت الأرض.

ذات يوم جاء محاسب الجمعيّة لتقصّي الأخبار، فاجأته بقولي : " لقد أوقفت كلّ شيء، لا مشاركة في الفاتح نوفمبر أو في غيره "، وجم لبرهة، قلت في نفسي : " أين كان هذا ساعة تدريباتنا الشاقة ؟، تمنيت على الأقلّ لو جلس مع الأطفال ليستشعروا وجوده بينهم، أتذكر مرّة أن " ليلى " عطشت فلم تجد قارورة ماء صالحة للشرب، بالطبع؛ ليس هو المسؤول عن إحضار الماء و لكن وجوده يكفي لرفع المعنويّات التي هي في الحضيض.

لمّا يرى الأطفال حضور المحاسب أو الرّئيس أو أيّ عضو من المكتب؛ فهذا يعتبر دليلا على أن الجميع مهتمّ بما يعملونه، أمّا أن يروني أنا فقط ثمّ أقول لهم أننا ننشط في جمعيّة؛ فلا أعتقد أنّ ذلك قابل للتصديق بسهولة ؟.

نزل الخبر عليه كالصّاعقة، لم يكن يتخيّل أبدا أني سأقوم بمناورة جريئة كهذه، راح يذكّرني بكتابنا البكر المعنون " المحاولات الأولى "، و كتابنا الثاني، و الأطفال و ما وضعوه فيّ من ثقة، في لحظة انقلب إلى أب حنون، سبحان مغيّر الأحوال.

قلت : " لا أستطيع و أنت تعرف جيّدا قصدي ".

بقي جامداً في مكانه على الطاولة مدة 05 دقائق، ثمّ انصرف بهدوء.

طريقة عظمى للتصرّف مع هؤلاء، رغم أنّ " عبد القادر " حاول لمّ الشمل و تلطيف الأجواء، أشعر أحيانا أن هذا الأخير هو الشجرة التي تغطي الغابة، مرّة يغطيّ المركب الثقافيّ البلديّ و مرة أخرى يغطينا، و لكنّ تصرّفاته غير المدعّمة بالقوّة اللاّزمة لصدّ أيّة محاولة تهجّم هي ما جعلتنا نخسر مقرّنا القديم، بدأت الدّسائس و زادت الأحقاد، أمامها لم يملك سوى الاستقالة من منصبه كمسؤول على أهمّ بقعة ثقافيّة في مدينة " العفرون ".

تقع دار الشباب على الطريق الرئيس الذي يقطع مدينة " العفرون " إلى قسمين، يمرّ عليّ أغلب تلاميذ إكمالية العقيد " شابو "، بما في ذلك أطفال النادي، مساء الأربعاء أتت " ناريمان " لتجسّ النبض العامّ، صارحتها بكلّ شيء، فعلت ذلك من أجل المصلحة العليا للنادي، كنت أستطيع بسهولة بالغة استغلال الجميع بما في ذلك أعضاء المكتب، ما يمنعني و لديّ كلّ المفاتيح و الوسائط ؟، غير أني آثرت تقوى الله.

عادت مساء الخميس رفقة عدد من البنات، " ليلى " و " فلة " و " أماني "، قائلة أنها تحدثت مع الكلّ و أنهنّ مستعدّات للعودة، و العمل من جديد، و الحلّ يكمن في الاعتماد على أنفسنا في توفير ما نحن بحاجة إليه، طلبت أسبوعاً لتنظيم كل الأمور، بما في ذلك مكان التدريب، فما فعلته يشبه الإضراب عن العمل و إذا عدت الآن و كأنّ شيئا لم يكن؛ فما جدوى ما فعلت ؟.

ردّة فعل ممتازة من الأطفال، أظن أن هذا برهان حبّ منهم للإنشاد.

كواليس العودة

الفرقة متوقفة و الأيّام تمضي، و أنا أبحث عن مكان مناسب للتدريب، لم يعد المركب الثقافي مكانا آمناً بعد حوادث الفتح و الغلق، خطرت في ذهني أن أسند الفرقة لدار الشباب الذي بدأ مديرها في إعادة النشاطات السّابقة قبل أن يتحوّل إلى بيت للشباب، و لكن المكان ضيق كثيرا، فهو فيلا من الطراز الكولونيالي، و جميع غرفها لا يمكن أن تتجاوز في مساحتها مساحة القاعة الكبيرة التي كنا فيها، ممّا دفعني للبحث عن فرصة في المركب الرياضي الجواري الذي دشنه الوالي بعد عيد الأضحى مباشرة، أي يوم الخميس، زرت المكان رفقة الحارس " مراد . ب " يوم السّبت، إلتقينا بمديره السيّد " كمال . ج " لاعب كرة القدم المشهور خارجاً مع ابنته الصّغيرة، صافحته دون أن أتكلّم معه بشأن ما عزمت عليه، تجوّلنا بالداخل و اخترت قاعة كرة الطائرة، قمت بحساب بسيط تبيّن فيه أنها ضعف مساحة الكنيسة القديمة.

يا سلام لو يسمحون لي بالنشاط فيها ؟.

قاعة كرة الطائرة قاعة مثاليّة للتدريبات الصّوتيّة، خاصّة إذا كانت أرضيّتها قليلة الغبار، تصوّروا الطول في العرض و الارتفاع، قاعة الصّلاة التي كنا نستغلّها كمكان استراتيجيّ لتطوير الصّوت في الكنيسة القديمة لا تمثل شيئاً إذا قورنت بها، صحيح أنّ لها صدى أقوى بالضعف أو بالثلاثة؛ غير أنّ هذه العقبة واقع أمامنا يجب أن نعايشه.

لكن؛ للأسف الشديد لم يكن التيار الكهربائيّ موصولا بعد، معنى هذا أن أيّة آلة تشتغل بالكهرباء لا يمكنها العمل، ثمّ إنّ المركب الجواري يقع في مكان منعزل قليلا عن الناس، ممّا قد يشكل خطراً على الأطفال، و الأولياء بلا شك لا يرضون إرسال بناتهم لمكان خفيف الحركة رغم وقوعه قرب إكمالية " مهالي أحمد ".

طال انتظاري كثيراً و طال صبر الأطفال، إتفقت مع رئيسنا أن يزوّدني بكمبيوتر محمول مع 15 سماعة، لو أراد فعلا ضمان عمل ناجح، و التوفيق من الله وحده أمّا نحن فمتسبّبون في حدوث الأشياء فقط، تجهيزات خفيفة مثل التي اخترتها تعدّ استراتيجيّة في عملنا، يمكن نقلها بسهولة ما دامت كل تجهيزاتنا المكتبيّة موجودة في دار الشباب، صارحني بفكرة إنتاج أنشودة مصوّرة نبيعها للقنوات الفضائيّة، لم أجد في الأمر مشكلة؛ أنا لا أعارض التجارة في الإنشاد، بل أكره التلاعب بمواهب الأبرياء، و المكر السيّئ بالآخرين.

طلبت من تجار أجهزة الكمبيوتر رؤية ما يمكنهم فعله في كيفيّة التحكّم في 15 سمّاعة موصولة كلّها بكمبيوتر واحد، وعدوني بالمساعدة و أن أمهلهم قليلا من الوقت، غير أنّ الوقت سرعان ما بدأ ينفذ، و نحن في ديسمبر على بعد أسبوع واحد من العطلة الشتويّة، إعتذر " أمين " تاجر تجهيزات الكمبيوتر و لواحق المكتب مني قائلا أنّ طلبي غير موجود في " البليدة "، و أنه يجب عليّ التوجه إلى العاصمة، و هناك سأجد كلّ ما أنا بحاجة إليه، فذهبت إلى " سامي " الذي وعدني بالمساعدة حين يتنقّل إلى الجزائر.

لم يبقَ أمامي سوى أن أتحرّك بما هو متوفر بين يدي من إمكانيّات، و أمري إلى الله، إتصلت مع " الطيّب " رئيس جمعيّتنا مقترحاً عليه الشروع في التدريب، فوافق متحمّسا لرأيي، ريثما تصلنا المعونة الماليّة الجديدة.

يتحتّم عليّ الآن أن أرتب اجتماعاً طارئاً لجميع أطفال النادي الإنشاديّ " قندس "، أطلعهم فيه على كافة المستجدّات و التفاصيل، هذا الاجتماع كان مقرّراً يوم السّبت 14 ديسمبر 2013 على السّاعة العاشرة صباحاً، كنت مستعجلا في إعادة المياه إلى مجاريها الطبيعيّة قبل فوات الأوان، غير أنّ المركب الثقافيّ البلديّ جرى تحويله إلى ملحقة للحالة المدنيّة، خاصّة بخدمات التصديق و عقود الزواج و ما شابه، و لم يبق سوى تطبيق قرار التحويل، حتّى أنّ مكتب لجنة الحفلات أرادوا وضعه في المكتبة البلديّة التي تقع أمام الدائرة على بعد حوالي 200 متر من محطة القطار، و المركب الرياضيّ الجواري ليس فيه كهرباء، أخبرت الرّئيس أنّ عليّ النشاط فيه رغم انعدام التيار الكهربائيّ، و أني يجب أن ألتقي به كي نتناقش في بعض التفاصيل، فأعطاني موعداً يوم الأحد بعد عودته من رحلة استكشاف إلى مدينة " قالمة ".

جمعيّة " النسيم " جمعيّة سياحيّة، قبل تنظيم أيّة رحلة إلى مكان بعيد يجب انتقال فردين من المكتب على الأقلّ لمعاينة المكان، و إجراء الترتيبات المتعلّقة بنوعيّة الخدمة و السّعر، و بعدها يتمّ انتقال العائلات.

في تلك الأثناء التقيت مع السيّد " خليفة . ر " حارس الفترة النهاريّة فوعدني بالمساعدة عن طريق التحدث مع رئيس البلديّة مباشرة السيّد " فيصل . م "؛ الذي يملك كافة الصلاحيّات بجرّة قلم.

إستُقبلنا من طرف نائب رئيس البلديّة الذي أكّد لي أن الأشغال ستنطلق بعد يوم أو يومين أو ثلاثة.

قبيل العصر؛ كنت عائداً إلى المنزل لمّا تراءئ لي " ياسر " الطفل دون العاشرة؛ واقفاً على بعد خطوات من منزلهم، أخبرته أن يقول للبنات أني أبذل كلّ ما في جهدي لضمان عودة ميمونة، و هذا الأسبوع الذي أمامنا هو الحاسم في اتخاذ أيّ قرار، إمّا سننشط في المركّب الثقافيّ البلديّ أو في المركب الرياضي الجواريّ، المهمّ أننا سنبدأ إن شاء الله في الأسبوع الأول من العطلة الشتويّة، و حسب الإجراءات المعمول بها؛ فإنّه يتوجّب عليّ تحضير ملفّ أقدّمه للسيّد " كمال . ج " كي أنشط في المؤسّسة التي يديرها بصفة قانونيّة، مجموعة أوراق مؤلّفة من قائمة الأطفال مع شهادة التأمين، و وثيقة الاعتماد المسلّمة لنا من مديرية الشباب و الرياضة للولاية، مع طلب خطيّ مختوم بالختم الدائريّ.

في الخارج كانت هناك حركة كبيرة للناس أمام البلديّة لمّا خطرت على بالي فكرة قاعة السّينما، دخلت إلى مكتب النائب المكلّف بالشؤون الثقافيّة و الرّياضيّة، أطلعه على مستجدّات الأمور معي، تعجّب من انعدام التيّار الكهربائيّ في المركب الرياضي الجواري الذي دُشن حديثاً جدّا، و أكد لي مجدّدا أنّ الأشغال سرعان ما ستنطلق في الكنيسة القديمة، أمّا قاعة السّينما فهو ينتظر تسليم المفاتيح أمام لجنة؛ من صاحبها الذي هو مطالب الآن بإعادتها للخدمة العامّة.

أمّا على المستوى الدّاخليّ لجمعيّتنا؛ فكان التّحضير على قدم و ساق لانتخاب مكتب جديد.

في 18 ديسمبر بالضبط من سنة 2013؛ وجدت نفسي أمام واقع مرّ :

01 - يتوجب عليّ إحضار بعض الوثائق للنشاط في المركب الرّياضيّ الجواري، و عمليّة التحضير لا تأخذ كثيراً من الوقت مقابل تقاطعها مع تغيير مكتب الجمعيّة.

02 - ربما تنجح البلديّة في بسط سيطرتها على قاعة السّينما، و بذلك فإنّ جهود التحضير للنشاط في المركب الرياضي الجواري هدر للوقت و الطاقات.

03 - قد يُلغى مشروع نقل خدمات التصديق و الشؤون الاجتماعيّة إلى المركب الثقافيّ البلديّ في أيّة لحظة، إذن كلّ ما فُعل يُعتبر تشويشاً في نظري على السّير الحسن لهذه المنشأة.

حبّذت التريّث قليلا لأرى ما ستفرز عنه الأيّام القليلة الباقية، و لكني مع ذلك لم أقف مكتوف الأيدي؛ شعرت أنه يجب عليّ التحرّك في كافة الاتجاهات، فاتصلت بالأستاذ " عبد القادر " الذي وعدني بالحديث مع البلديّة لتمنحني قاعة السّينما من أجل العمل فيها باعتبارها قريبة من الكنيسة القديمة، و مساحتها الواسعة، كما ذكرته بالاجتماع المقرّر يوم السّبت بعد العصر لتجديد مكتب الجمعيّة، فأكد لي حضوره، قلت في نفسي : " أظنّ أن شيئاً ما سيحدث ليس بالجديد، موعد مطاطيّ لا ينفع أبدا، من يدرِ من سيأتي أوّلا و قد يذهب ليأتي آخر ؟، فترة بعد العصر فترة طويلة في حدود السّاعتين، كيف سنتفق على شيء معيّن و الموعد غير مضبوط ؟ "، و يجب أن نقضي على كافة العراقيل نهائيّا هذا الأسبوع، فقد أخبر " ياسر " البنات بما أوصيته، و العطلة لم يبق لها سوى يومان فقط، و " سامي " تاجر تجهيزات الكمبيوتر ما زال لم يؤمّن لي طلبي الذي ما فتئت أؤكده، و أنا على أعصابي ليل نهار.

يوم السّبت 21 ديسمبر 2013 اجتمع مكتب الجمعيّة في لقاء أخويّ دام حوالي السّاعة، إبتداء من الخامسة مساء، فيه تطرّق الحاضرون الذين غاب عنهم الأستاذ " عبد القادر " و المحاسب لمشكلة الانفراديّة في أخذ القرار، و اتفقوا على يوم الجمعة المقبل كموعد لإجراء اجتماع رسميّ يحضره كلّ أعضاء المكتب، في الحقيقة لا يهمّني من سيكون الرّئيس القادم، و لا المحاسب، ما يهمّني هو أن يسير كلّ شيء كالسّاعة السويسريّة، ما يهمّني هو أن أجد الإمكانيّات التي أعمل بها في راحة و اطمئنان، ما دامت الأموال متوفّرة فلماذا السّبل الملتوية ؟، و لكن إذا هُدّدت مصلحة النادي فيجب عليّ التدخل بأكثر من طريقة لحماية المكتسبات التي حققناها على مرّ شهور من الجهود المضنية، أراد رئيس جمعيّتنا توقيع اتفاقيّة مع دار الشباب؛ بموجبها تصبح " النسيم " تتكفّل بكل تكاليف الصّيانة و الإصلاح العامّ، أو ما يُعرف عندنا بمصطلح " الجمعيّة الأمّ "، لم يعجبني ما فعله، لأنّ التسيّب هو ما جعلنا نصل إلى هذه الدرجة، كنّا في الكنيسة القديمة معزّزين مكرّمين، لنا مقرّنا الواسع الخاصّ، ذو المكان الاستراتيجيّ، و الآن نحن في مقرّ لا يتسع لأكثر من 15 فردا، و أمام الطريق الذي يقسم المدينة إلى قسمين، وسط ضجيج السيّارات و زحام المرور، مجبرون في إطار قانونيّ على دفع أموال لمؤسّسة شبانيّة لسنا مسؤولين عنها، شيء لا يُطاق و غير عقلانيّ.

إتفقت مع الأستاذ " عبد القادر " أن نلتقي صباح يوم الإثنين للحديث مع النائب المكلّف بالثقافة، حول مسألة قاعة السّينما، ناداني " ياسر " متسائلا عن موعد البدء في التدريبات ليخبر البنات، فقلت أني ما زلت في طور معالجة ذلك، سأخبره لاحقاً إن شاء الله، في الحقيقة كنت متشائماً لحدّ كبير؛ تمرّ عليّ لحظات تفاؤل قصيرة من حين لآخر، كلّ شيء يبدو مغلقاً بإحكام و كأنّنا جميعاً في زجاجة، و هل بوسعي فعل شيء أكثر ممّا أفعله ؟.

في الصّباح؛ إلتقيت مع الأستاذ " عبد القادر "، كان على متن سيارة جديدة بيضاء عندما أخذني معه إلى " البليدة " لإكمال ملفّ انتقال الملكيّة، تخلّص من مشاكل السيّارة القديمة نهائيّا، تناقشنا في الطريق حول مصير الجمعيّة، لقد قال أنه يفكّر في الاستقالة منها، و أن جميع أعضاء المكتب مقصّرون؛ من الرّئيس إليه شخصيّا، و الحلّ في أن يبقى كلّ شيء على ما هو عليه؛ و أن تكون هناك شفافيّة و طيّ لجميع الصّفحات القديمة، لدينا مشكل عويص في تولّي مناصب المكتب، من هو الجدير ؟، هل سيرضى بتولّي مهامّه ؟، عرض عليّ منصب الرّئيس، قلت : " بشرط أن أجد من يساعدني، إذا كنت وحيدا فلن أقدر على فعل شيء "، لقد اعتذر سابقا الأستاذ " نور الدّين . س " عن تولّي أيّة مسؤوليّة لأنّه مقيم في مدينة " شفة "، حوالي 14 كيلومترا إلى الشرق من " العفرون "، كما اعتذر " عبد القادر " بذاته مرّات عديدة، إذن من المؤهّل لقيادة هذه الجماعة بالمعنى التامّ للقيادة في عهدة جديدة ؟، راقت لي هذه الفكرة قليلا، خشيت حجم المسؤوليّة التي أنا مقبل عليها.

منذ تلك اللّيلة بدأت جزيئات مخطط جديد تتكوّن في رأسي.

برنامج الارتقاء الشامل

يحمل العمل الجمعويّ معنى العطاء، و يأخذ المفهوم الإنسانيّ في بعده الشامل الأشمل، يعلّمنا أن نحبّ الآخرين؛ أن نساعدهم دون أن ننتظر أيّ مقابل منهم، و إذا كان يجوز شرعاً إقامة التماثيل؛ فهؤلاء العظماء الذين عرفوا سرّ الإنسانيّة أولى بكلّ تكريم و تخليد.

ما زلنا في يوم الإثنين؛ كانت السّاعة تشير إلى الواحدة بعد الزّوال، لمّا كنا في طريق العودة، ذهبنا للقاء النائب المكلّف بالثقافة الذي كان فيما يبدو في اجتماع، أكد لي من جديد أنّ الأشغال ستنطلق هذه الأيّام أمّا قضيّة السّينما فسيفصلون فيها يوم الثلاثاء 24 ديسمبر، بعدها ستكون لي، مساء كئيب مرّ عليّ لا أدري ما السّبب ؟، ربما لأني فكرت كثيرا و تعبت ذهنيّا، ربما لأن الوقت يمرّ متثاقلا، تقاطعت فجأة مع " سهام " و " فلّة " العائدتين إلى المنزل أمام الابتدائيّة التي كانت تُعرف فيما مضى بمدرسة " الإدريسيّ "، و قبيل المغرب رأيت " أمانيّ " مع عائلتها، و أظن أني رأيت " نوال "، كلّما ألتقي ببناتي تزول عني هموم التفكير المتواصل، كأنهن يتقاسمن معي الضغط الرّهيب الذي يتزايد بتضخّم الأفكار، هؤلاء البنات هنّ أسرتي الثانية، و كثيرا ما عزمت على دعوتهنّ جميعا لحفلة زواجي ... إن تزوّجت طبعا.

لا أستطيع فعل شيء ذي أثر و أنا رئيس النادي؛ و لكن يمكنني فعل أشياء كثيرة حين سأكون رئيس جمعيّة.

كلّ شيء قدّره الله، ما أنا سوى عبد ضعيف أتقوّى بآخرين، و ليكونوا " رابح " الكاتب العامّ محاسبا، و " عبد الرّؤوف " كاتبا عامّا، ثمّ تقسّم الأعمال إلى قسم ثقافيّ و آخر سياحيّ، يعيّن على رأس كلّ قسم شخص يتحمّل مسؤوليّة التسيير، فكّرت في محاسب الجمعيّة الذي يحبّ الرّحلات، لماذا لا يكون هو المسؤول عن هذا الفرع ؟، أمّا فرع الثقافة فسيُسند إلى " نور الدّين " أستاذ الفنون التشكيليّة أو " رابح . ف " كونه على دراية بالحراك الثقافيّ في الجزائر و لا سيّما المسرح، وجدت نفسي بهذه الخطة ألمّ الشمل الذي هو مهدّد بالانفجار عمّا قريب، و كأني أنا الأمل الوحيد و الشخص المناسب تماما للقضاء على كلّ صراع، سبحان الله؛ في لحظة أصبحت و كأني " عبد العزيز بوتفليقة " رئيس الجمهوريّة، ممكن جدّا أن لا يستقيل " عبد القادر "، بل سيساعدنا بشبكة معارفه الواسعة، و أضمن " رابح " لأنه شخص يحبّ التنظيم، و لي نوّابي الذين سيساعدونني في الإنجازات المنتظرة إن شاء الله، و كلّ من تكاسل أو يشكل خطراً و لو معنويّا على السّير الحسن للجمعيّة؛ سواء على الجبهة الدّاخليّة أو على الجبهة الخارجيّة؛ فسأعقد اجتماعاً لطرده نهائيّا، يجب أن أكون صارماً في مواقف كهذه، ليس الأمر لعبة و لن يكون لعبة، ما ضيّعنا هو الاستهتار و اللّامبالاة، و آن الأوان لاستعادة النظام و السّيطرة على كلّ انفلات، " سامي " ينتظر تسديد دين له علينا إلى هذه اللّحظة منذ أفريل 2013، حوالي 25 ألف د .ج، و أشكّ أنه تهرّب مني بخصوص الأجهزة التي طلبتها منه، لأنه يعلم أنّ أمواله لن يحصل عليها إلاّ بجهد جهيد، و الله أعلم بالمتعاملين الآخرين.

كيف يمكن لنا أن ننجح حين تكون سمعتنا في الحضيض ؟!، و كيف يضع الآخرون ثقتهم فينا و نحن من المشكوكين في نزاهتهم ؟.

كانت هذه خطتي المبدئيّة التي يجب أن أجسّدها فوراً بالتنسيق مع كلّ المعنيين بالأمر، و خاصّة بعد عودتهم من مدينة " قالمة "، هو برنامج وجدت نفسي مجبراً على تنفيذه، و كما يجب أن يقوم النّادي الإنشاديّ على قدميه؛ يجب أن تقوم باقي الأندية الأخرى كنادي الرّسم على سبيل المثال الذي اقترح الأستاذ " نور الدّين " أن يشرف عليه في انتظار عودة " عبد الرؤوف "، و نادي النحت الذي سيكون لأوّل مرّة في المدينة سيشرف عليه أحد الموهوبين.

أخبرت " منال " أن تنتظرني يوم السّبت في أسبوع الدّخول المدرسيّ أمام منزلهم على السّاعة العاشرة صباحاً لأخبرها بالجديد، و في انتظار ذلك؛ عليها الاتصال بكلّ عناصر الفرقة ليعطوني رأيهنّ إن يقبلن بالنشاط في المركب الرّياضيّ الجواري، ربما لا يستطعن، لأرى ما أستطيع فعله، بعد يومين اتصلت " كنزة " تسأل عن الجديد، أبدت رغبتها الشديدة في العودة للنشاط، قلت أنّ المكان الحالي المقترح هو المركب الرياضيّ الجواري الواقع بين المستشفى الكبير للمدينة و إكمالية " مهالي أحمد "، فوجئت أنها لم تكن تعلم كثيراً من الأشياء، و كأنها في كوكب آخر، إذن أصبحنا نعاني الآن من مشكل الاتصال فيما بيننا، لقد أخبرتها بالمستجدّات في انتظار ما ستسفر عنه الأحداث في الأيّام القادمة.

ما يلزمنا مكان جيّد للنشاطات فقط أمّا مقر إدارتنا فلا يتطلّب أكثر من غرفة 04 × 04 متر، سهل علينا أن نقول هذا و لكن الواقع أصعب بكثير، فقد رجع الذاهبون إلى الرّحلة، و اتصلت بمدير المركب الرياضي الجواري من جديد لأرى أين وصلت عمليّة الرّبط الكهربائيّ، و لأتأكد من الأوراق التي يجب إحضارها، و أحدّد التوقيت الذي ارتآه الأطفال بأنفسهم للتدريبات، إنه يوم الثلاثاء على السّاعة الثانية بعد الزوال، في قاعة كرة الطائرة، القاعة التي كنت قد اخترتها سابقا، قال لي مدير المركب أنه في حالة هطول الأمطار فإنّ نشاط فريق كرة اليد أو كرة السلّة سوف ينتقل إلى هذه القاعة؛ أمّا أنا فآخذ قاعة للدّروس، ليست بالكبيرة جدّا لكنها حلّ مؤقت، يبدو أنّ نصف البنات فقط يرغبن في العودة، المكان الآن أصبح لا يلائم البعض، لقد قامت " منال " بجهد كبير مع زميلاتها اللّواتي ذهبن إلى " ليلى "، ثمّ " وفاء " و " سماح " دون جدوى، أمّا " كنزة " فقالت أنها يجب أن تزور المكان رفقة والدها ليتبيّن لها الوضع العامّ عن كثب.

عندما يتغيّر مكان النشاط فإنّ التضحية تختلف من فرد لآخر، و لا يُلام الطفل؛ فهو يأخذ برأي الكبار، و إن رأى هؤلاء أنّ ما سيدفعونه يعتبر باهضاً أمام ما سيتلقّاه المعنيّ بالأمر؛ فإنهم لا شك سيتراجعون عن كثير من المواقف، أمّا ما سوف يدفعونه فيختلف حسب العقليّات، منهم من يتوجّسون من مكروه سيصيب طفلهم لو ذهب إلى مكان النّشاط الجديد، و خاصّة إذا كان الأمر متعلّقا بطفلة على وشك بلوغ سنّ الرّشد.

هاتفني رئيس الجمعيّة كي أذهب إليه، بعد السّاعة الثانية بعد الزّوال، كان هذا في الفاتح من جانفي 2014، بحثت عنه في المركّب الثقافيّ البلديّ الذي كانت تُعرض فيه بعض الأعمال المسرحيّة، و لمّا لم أجده؛ توجهت إلى دار الشباب لأجده هناك منهمكا بتحضير أوراقي، أردنا طباعة القائمة التي سنؤمّنها لكنّ الحبر الأزرق نفد من الطابعة، فما كان عليّ إلاّ أن نسخت الأسماء يدويّا على ورقة، و كتب الكاتب العامّ الطلب الخطيّ في الغد من ذلك، أراد الرّئيس أن يضبط الأستاذ " رابح . ف " قائمته كي يقوم بإجراءات التأمين دفعة واحدة، هي خطوة تتخذها معظم الجمعيّات في الجزائر تفادياً لدفع مقابل خياليّ غير مناسب.

كنت أفكر ماذا سأقول للأطفال ؟، العطلة الشتويّة التي كنت أنتظرها تناثرت أيّامها كأوراق الخريف الذي كنّا فيه، هل أخبر " منال " أن تؤجّل الموضوع لأسبوع آخر ؟، لقد سلّمت الطلب الخطّي و قائمة الأطفال مكتملة العدد إلى الأستاذ " رابح . ف " ليسلّمها بدوره للمحاسب الذي يلتقي به دائما، من المفروض أن تنتهي كلّ الإجراءات يوم الأحد صباحا، لأنّ السّبت يوم عطلة أسبوعيّة، لكن خشيت الضغط الذي سينتج في اللّحظة الأخيرة، و أنا لا أستطيع العمل في المركب الرياضيّ الجواريّ دون إكمال الملفّ.

فجر الجمعة 03 جانفي 2014 علمت بوفاة جدّتي، غادرت دنيانا على السّاعة الخامسة صباحا؛ تلك الإنسانة التي عرفت التضحية في أسمى معانيها، تذكّرت يوم وفاة عمّتي فقد كان يوم الجمعة كذلك، و يوم الموت هو يوم الدّفن في شريعتنا، و كأنّ هذا اليوم هو باب لكلّ المقرّبين، لقد ارتاحت هذه العجوز من همّ السّنين، إرتاحت من عذابها، لقد كانت مريضة جدّا قبل أن تموت، في اللّحظات الأخيرة زاد عليها المرض لدرجة أنّها أصبحت غير قادرة على أن تغيّر من أوضاعها في الفراش، و كأنّه تذكير بالمصير الذي ينتظرها، ككلّ البشر الذين نعرفهم و يعرفوننا، حين يقرّر الله أن يذهب أيّ أحد فلا رادّ لقراره، و يبقى عملنا للحياة الأخرى التي تنتظرنا، أو لنقل نحن الذين ننتظرها، تلك الحياة الخالدة التي يكون فيها كلّ مطلق، إمّا عذابا أو نعيما.

لا أعلم بالضبط لماذا ننسى جميع مشاكلنا مع شخص نفقده ؟، ترسخ في أذهاننا كلّ ذكرى جميلة تربطنا مع هذا المسافر إلى ما بعد الموت، ذكريات هي و ليست ذكرى واحدة؛ تتدافع في رؤوسنا تدافع العطشى لماء الواحة الخضراء، أين كان هذا الحنين حين كان الفقيد حيّا يرزق ؟، كلّ شيء يتوقف الآن على مشاعري و أحاسيسي، و عادة أريد أن أكون براغماتيّا في مثل هذه المواقف، فلو منحنا لأحاسيسنا جميع الأضواء الخضراء؛ لن يكون باستطاعتنا أن نمنع أيّ ضوء أحمر من الاشتعال.

حين تكون لك جدّة؛ فإنّ لك ملكاً من أرشيف الأجيال الماضية، طالما حكت لي عن معاناتها مع العسكر الفرنسيّ، و ما قاسته من جحيم الجهاد، أرملة شهيد هي ككلّ الأرامل اللّواتي فقدن الزّوج و فقدن معه كلّ لذّة في الحياة، فعاشت من أجل أولادها، لقد روت لي مشهد حضور الفرنسيّين إلى القرية بناء على وشاية أحد السّكان، حاصروا المكان برمّته و أرسلوا جدّي إلى الآخرة بلقب شهيد، لم يتعاطف معها أحد، لقد خاف الجميع من بطش العسكر، فهربت بالأولاد تاركة الأرض الواسعة إلى مكان جديد لا يعرفها فيه أحد.

قبيل المغادرة بأيّام قليلة؛ كانت تجلب الماء من بئر قريبة حين قدّم لها أحد المجاهدين مالا تستعين به على نوازل الدّنيا، ثمّ عرفت فيما بعد أنّ جنود جبهة التحرير الوطني انتقموا لها من الواشي.

في رأسي فكرة أن أجعل يوم الثلاثاء 07 جانفي موعداً رسميّا لانطلاق التدريبات؛ قرار هو الأصل فصل للمشاعر عن العمل الدّعويّ، هروبي من ضغوط الحياة هو لهؤلاء البنات اللّواتي أرتاح معهنّ كثيرا، أنسى جميع ما يعتريني من مشاكل مع " منال " و " سهام " و " بشرى " و " ناريمان " و الأخريات.

كم نحن بحاجة إلى مساندة الآخر لمّا نستشعر الوحدة ؟.

كم نحن في حاجة ماسّة إلى معانقة شخص ما نسكب على كتفيه الدّموع حين يغيب عنّا كلّ عزيز ؟.

ضعفاء نحن و لو كانت لدينا عضلات مارد جبّار، و مساكين جدّا أكثر من قطّ صغير يموء باحثا عن أمّه في الشوارع المزدحمة، و شوارع الحياة التي نعيشها ربما تفوق ازدحام أيّ شارع معروف باستقطابه للمارّة في أيّة بقعة من العالم، لكننا أمام ملذات الحياة ننسى ما نعانيه من آلام السّير.

" منال " تلك الطفلة الصّغيرة التي لا تعلم ما أعانيه في داخلي من ضغوط، كما أنها لا تعي جيّدا ما معنى أن ننشط ثقافيّا و كلّ شيء حولنا يجبرنا على الانسحاب من الميدان ؟، لا يفهم الصّغار ما يكابده الكبار من أجلهم، من أجل أن يصنعوا جيلاً أجود بمئات المرّات من الحاضر الذي يعيشون فيه.

مررت مساء الجمعة مع " عبد الرّؤوف " بسيّارته البيضاء؛ بعد صلاة العصر؛ فالتقيت مع " ياسر " و " محمد " إبن الحارس " خليفة "، أكدت عليه أن يخبر البنات أنّ الانطلاقة المرتقبة ستكون إن شاء الله يوم الثلاثاء 14 جانفي، في المركب الرياضيّ الجواريّ المعروف اختصاراً باسم " **CSP** "، على السّاعة الثانية بعد الزّوال، ثمّ سرعان ما رأيت " عبد السّلام " أخو " منال "؛ فقلت له ما قلته لسابقيه؛ لديها متسع من الوقت لتُعلم الجميع، و لدى الجميع المتسع من الوقت ليفكّروا في الالتحاق بنا.

رحم الله كلّ مسافر إلى المحطّة التالية، و رحم الله كلّ من ما زال ينتظر.

يوم الثلاثاء 07 جانفي هو موعد اجتماع مكتب الجمعيّة، في انتظار اجتماع آخر يضمّ كلّ الأعضاء، إجتماع مكتبنا هو ما كنت أنتظره بفارغ صبر لأنّه سوف يصحّح الكثير من المحاور العالقة، التي أخرت معالجتها أكثر ممّا هو معقول، فأدّى التراكم إلى تداعيات سلبيّة ما فتئت تتضخّم مع مرور الزّمن، فكرتي بتغيير محاسب الجمعيّة لم تعجب الرّئيس، له أسبابه التي تدفعه إلى اعتبار أنّ هذا التصرّف منّي مبنيّ على أساس خاطئ، لقد أكدّت له أنّي لا يهمّني من سيتولّى المناصب القياديّة، لكن عندما أجد أنّ عملي مهدّد؛ فإنّه من الغباء أن أجلس مكتفياً بالنظر إلى من هم حولي، أو أن أوزّع الابتسامات الصّفراء على كلّ الأصدقاء، أو أن أجامل و الموقف هنا لا يستدعي المجاملات؛ بل الصّرامة وحدها هي سيّدة الموقف ككلّ، و لا سيّما بعد أن عرفت أنّ الأوراق التي طُلبت مني ستكون جاهزة إن شاء الله يوم الأحد 12 جانفي، أي يومين فقط قبل بدء التدريبات، أ ليس هذا غريباً بعض الشيء ؟.

ثمّ إنّ رفض المحاسب لفكرة شراء كمبيوتر محمول للنّادي أثارتني قليلا، هل يُعقل أنّ لدينا مئات الآلاف من الدّنانير و لا نصرفها في أبواب منطقيّة ؟، عانى الرّئيس من أجل الحصول على الترخيص بالنشاط، و عليه أن يكمل مشواره في السّهر على رعاية المواهب التي بين أيادينا؛ في القيام بالدّور المنوط به على أكمل وجه، و ما طلبت عظيما.

و يوم الثلاثاء أيضا هو اليوم التي حضرت فيه " منال " و صديقاتها، ظنّت المسكينة أننا سنشرع في التدريبات، لقد كنت في دار الشباب أنتظر أخبار الجمعيّة و ما ستسفر عنه المناقشات المرتقبة حين أخبرتني بالأمر إحدى المكلّفات بالتأطير الآنسة " هجيرة "، ظننت أنا بدوري أنّ حضورهنّ لمسألة أخرى تماما؛ و لم أتوقع إطلاقا أنّهن أخطأن في الموعد، لقد أفهمت " عبد السّلام " يوم الجمعة الماضي ما يجب أن يقوله لها، ربما لم يفهم جيّدا ما عنيته و نقل إليها عن سوء فهم، أو قد تكون هي التي لم تستوعب ما كنت أقصده.

أمّا يوم الأربعاء؛ فقد كنت قلقاً بعض الشّيء، لأنّ الأوراق التي طلبتها من الرّئيس لم تجهز بعد، و أخشى ما كنت أخشاه هو التأخير الذي سيضيّع علينا فرصة اختيار الوقت الملائم للعمل، من جهتي؛ هاتفت " كمال " لأطلعه على جديدي.

كنت واقفا أمام دار الشباب أتبادل الحديث مع الحارس " مراد "، فأتت شلة " منال " التي بادرتني بالسّؤال هل صحيح أنّ جدّتك توفيت ؟.

- " نعم ".
- ثمّ قالت " سهام " : " هل لديك جدّة ؟! ".

فاجأتني بهذه العبارة، و لا أعلم ما الذي دار في خلدها حتّى اعتبرت المسألة غريبة، أخبرتني " منال " أنّ " بشرى " توقفت عن النشاط معنا، تذكرت هنا معنى أن يكون لنا مقرّ ذو مكان استراتيجيّ، في واقع الأمر كان شقيقها " ياسين " هو من يتوسّط لدى والدها للسّماح لها بالحضور، إنه أستاذ سابق و يدرك مفهوم العيش في بيئة تربويّة ذات طبيعة خاصّة تعلي من شأن الأخلاق، و لمّا غابت " بشرى " فإنّ عناصر أخرى ستتوقف عن النّشاط، لا شكّ في ذلك، لقد كان حضورهنّ مرتبطاً و قائماً على المكان الذي كنّا نتدرّب فيه، و الآن عندما انتقلنا إلى مكان آخر فإنّ الوضع سيتغيّر، وجدت " تماني " أنّ المكان بعيد عن منزلهم رغم أنّها لا تسير سوى 500 متر، و لكن الطفل يبقى طفلا في شعوره و في تقديره للأشياء.

إجتمع أعضاء الجمعية يوم الجمعة 10 جانفي على السّاعة العاشرة و النّصف صباحا، و اتفقوا عن بكرة أبيهم على الشفافيّة و الإجماع في أخذ القرار، أكّدت على الرّئيس أهميّة تحضير الأوراق الخاصّة بي، فوعدني أن يكون كلّ شيء جاهزاً يوم الأحد إن شاء الله، غير أنّ مدير المركب الرياضي الجواريّ جاملني بتوصية من أحدهم، و تركني أعمل مع الأطفال يوم الثلاثاء بوثائق في طور التحضير، إتصلت بالأستاذ " عبد القادر " مؤكّدا له أنّه يجب التخلّص من هذا المكتب الذي لم يجلب لنا إلاّ المشاكل، كيف يمكن التغاضي عن هذا الخطأ ؟، أين هي الصّرامة ثمّ أين هو الانضباط ؟، قبل يوم فقط التقيت بمحاسب الجمعيّة الذي راح يستفسر عن محرّك فكرة تغيير المكتب، كأنّ لدينا مؤامرة عليهم أو انقلاب، هو تصحيح مشروع لسيرورة الأوضاع التي تزيد تعفّنا يوماً بعد يوم، وإنقاذ للسّفينة المهدّدة بالغرق، و حين يدخل الماء إلى السّفينة فإنّه سيُهلك الجميع دون استثناء، و أنا من دفع الثمن غالياً مع المسكينات اللّواتي وثقن بنا.

يوم الثلاثاء 14 جانفي 2014 هو اليوم الفعليّ لانطلاق التدريبات المتوقّفة منذ مناورة الفاتح نوفمبر من العام الماضي، قبيل السّاعة الثانية بعد الزّوال كانت مجموعة من البنات و على رأسهنّ " منال " و شلّتها في طريقها للمقرّ الجديد المعروف اختصاراً باسم " **CSP** "، حضرت " وفاء " و " ليلى " بينما غابت " أسماء " و " سماح " و " كنزة "، و " زينب " التي غيّرت نشاطها إلى المسرح المدرسيّ، أمّا " ناريمان " فاعتذرت بسبب طارئ، مؤكّدة حضورها في الحصّة القادمة.

في هذه الحصّة؛ حاولت أن أتحدّث مع الحاضرات بكلّ صراحة ممكنة، عن سبب المشاكل التي عطّلتنا عن المواصلة؛ عن مناورة الفاتح نوفمبر، و اتفقنا جميعاً على التّحضير للمستقبل التي ينتظرنا بكلّ أمل ممكن.

لقد ارتدت " وفاء " الخمار، هي محاولة مشجّعة للأخريات اللّواتي اقترحت عليهنّ ارتداء الحجاب لمن رغبت فيه، ليس الأمر سهلا أن تقنع الأطفال بشيء يرونه قيدا، دعوتنا تجبرنا على اتباع ما يوصينا به الله، و الأناشيد التي نقدّمها ما هي سوى انعكاس للتربية الإسلاميّة التي يجب أن تزرع فينا من الآن بذورا، و ها هي " بشرى " ترفض ارتداء الحجاب زعماً أنّها امرأة عاقلة لا داعي أن ترتدي ما يُعتبر مظهراً من مظاهر الالتزام، كيف يمكن إقناعها ؟.

أتذكر طفلة كانت في فرقة " الإيمان " في 2004 تأخّرت في ارتداء الحجاب رغم أنّها كانت تبدو كامرأة بالغة، كنت أؤكّد عليها مراراً و تكراراً أنّ عليها الالتزام بما يوصينا به الله تعالى، و ساعدني والديها بتوجيه مناسب، و فجأة رأيتها ذات مرّة بخمار يزيّن وجهها، كانت الفرحة بادية في عينيها و كأنّها أرادت أن تقول لي : " أنظر لقد وفّقني الله و هزمت الشيطان الذي كان يتلاعب بأفكاري ".

على البنات أن يفهمن جيّدا معنى ما يقمن به، هي الدّعوة إلى الله تعالى بالفنّ، و على الدّاعية أن يكون على خلق، لا شيء يصون خلق الفتاة مثل الحجاب، الحجاب الذي يحجب عنّا جسمها، لا أن يكون شفّافاً أو مثيراً بألوان مهيّجة، أو مفصّلا لمعالم الجسم، لا يمكن أن يكون هكذا حجاباً بقدر ما هو إغراء؛ فيطمع الذي في قلبه مرض، الفتاة في عقيدتنا هي الدّرّة التي ينبغي الحفاظ عليها من أيّة عوامل تشويه خارجيّة، و كم هو صعب أن نحافظ على بناتنا من غزو ثقافيّ بات في عقر دارنا ؟، و على المشرفين أو المشرفات على فِرق الإنشاد النسويّة أن يدركوا الدّور الذي يلعبونه، هم ليسوا مجرّد أدوات تلقين ميدانيّ؛ بل أكثر من ذلك؛ هم قادة فكر و للقائد هيبته و شخصيّته المحفوظة في ذاكرة الآخرين.

يوم الجمعة 17 جانفي اجتمع أعضاء الجمعيّة كما هو متفق عليه من قبل، لقد جددّوا عهدة الرّئيس بفارق صوت واحد عن الكاتب العامّ الذي قدّم ترشيحه، كنت محبطاً بعض الشيء فلم أشأ الحضور بسبب غياب طلب الاجتماع الرّسميّ الذي كان يجب أن يقدّم إلى مدير دار الشباب، لكن " عبد الرّؤوف " الذي هاتفني أكد لي أنّهم ينتظرون، إذن يبدو أنّ طلب الاجتماع قد قُدّم من الرّئيس، و فعلا كان قد قُدّم صباحا فقط، أي بفارق 04 ساعات عن موعد الاجتماع، ممّا فوّت علينا دعوة البعض، على كلّ حال تعرّضنا للقانون الداخليّ بالتحليل و النقاش، و وعدني الرّئيس بأن يسوّي وضعيّة التأمين مع مدير " **CSP** " في أمسية الأحد إن شاء الله، بانتقاله شخصيّا رفقة الأستاذ " رابح . ف " إلى المكان الجديد الذي سنتخذه مركزاً لأنشطتنا.

سمعت أنّ هناك من هو عازم على إحضار أستاذ موسيقى ليكون في مكاني، فكرة أضحكتني بقدر ما اعتبرتها عادية جدّا، لقد حدث لي هذا مرارا مع فرق أخرى، هم يعتقدون أنّ الإنشاد هو الموسيقى و الموسيقى هي الإنشاد، و إذا عوّضوا المشرف بأستاذ موسيقى فإنّهم يحسّنون الوضع؛ و الحقيقة أنّ الإنشاد يختلف عن الموسيقى، بمعنى آخر؛ إنشاء فرقة إنشاديّة ليس هو نفسه إنشاء أيّة مجموعة صوتيّة، فللإنشاد أصوله و قواعده و فلسفته الخاصّة التي تميّزه عن غيره من الفنون الغنائيّة الأخرى، و ما يفعل أستاذ الموسيقى أمام صرح كامل من المعلومات قائم بذاته ؟.

تفكير غريب يسود بعض الجمعيّات إن لم أقل أغلبها، و لكن عندما نحلّل هذا الفعل؛ سندرك حتماً أنّ الجاهل بالدّرب هو وحده من يعتقد هذا الاعتقاد، أمّا العالم؛ فسيضع كلّ شخص في مكانه لأنّه فعلا كلّ شخص له مكانه.

إتصلت يوم الأحد بالرّئيس للاستفسار عن التطوّرات؛ فقال أنه عند الطبيب و لن يكون في قدرته الاجتماع بالسيّد " كمال . ج " مدير المركب الرّياضيّ الجواريّ، و حتى هذا الأخير كان لديه ما يشغله في ذاك المساء، و لكنه وعدني أنه باستطاعتي العمل مثلما هو متفق عليه يوم الثلاثاء ابتداء من السّاعة الثانية بعد الزّوال، أي أنّه سيتدبّر الأمور ممارسا مهامّه كرئيس حازم هذه المرّة أكثر من أيّ وقت مضى، قلت في نفسي : " يا ليته يفعل و يريحني من عناء توجيه كلّ المتغيّرات، حينئذ سنجدّد له العهدة لعشرات المرّات ".

كنت عائداً إلى المنزل في المساء فالتقيت مع " كنزة " التي أكّدت لي خروجها من الفرقة الإنشاديّة بسبب والدها؛ لكنها ستبقى في النّادي مثل " نوال "، مواظبة على الكتابة و التأليف، لم أشأ أن أخبرها عن المذكرات التي أنا بصدد كتابتها، أردت أن أجعل كلّ شيء مفاجأة للجميع؛ و لا أحد يجب أن يعرف شيئا قبل الأوان مهما كانت صفته، ثمّ ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

من الآن برنامجي ينضج على نار هادئة، و لكن أخفي كلّ شيء كي لا يطفئ النّار أيّ أحد.

يوم الثلاثاء 21 جانفي اتفق رئيس الجمعيّة مع مدير المركب الرّياضيّ الجواريّ حول مسألة التأمينات، لقد اجتمع به رفقة الأستاذ " عبد القادر . ب "، بينما كنت أنا مع البنات منهمكا في عملي المعتاد، جاءت " ناريمان " حاملة معها الكمبيوتر المحمول، الذي استعملناه بدل إحضار الكمبيوتر الكبير الخاصّ بالإدارة، ثمّ أتى الرّئيس و معه مكبرّ الأصوات الذي نفعنا كثيرا في غياب السّمّاعات الخاصّة، و حضرت " دعاء " و غابت " ليلى " هذه المرّة، أمّا " بشرى "؛ فما زالت في مفترق الطرق لم يشأ لها والدها المواصلة معنا، و هي معه في مفاوضات شاقّة، لقد لاحظت أنّ المستوى العامّ وقف عند نقطة " فا "، أي أنّ " صول " لا تستطيع أيّة واحدة الوصول إليها بسبب الغياب الذي طال أكثر من 03 أشهر متواصلة، لكن مع تكرار التدريب؛ سوف يتحسّن المستوى إن شاء الله، و ربما نصل في ظرف شهر واحد إلى نقطة " سي " أو إلى نقطة " دو " الثانية؛ من يعلم ؟، و بذلك نكون قد أكملنا الدّيوان الموسيقيّ لسلّم " دو " الكبير، أخبرتني " هجيرة " أنّنا كنّا نُسمع من الطابق الثاني؛ قلت في نفسي : " إذا بقينا هكذا فلربما سيسمعوننا من جميع أنحاء المدينة، و علينا أن نجد مكانا آخر تحت الأرض كي لا نقلق منه أحد ".

كانت السّاعة تشير إلى الرّابعة إلاّ الرّبع حين أكملنا عملنا، و أرجعت مكبر الأصوات إلى دار الشباب.

بعد هذا التاريخ أصبح الأطفال مطالبين بإحضار شهادة ميلاد مع صورتين شمسيّتين لا غير، لتجديد الملفّ الذي لدينا في الجمعيّة، و بهذا عادت الفرقة الإنشاديّة إلى النشاط بعد معاناة كبيرة، تحت رغبة البنات اللّواتي أحببن العمل الرّفيع رغم مشقّته.

و هؤلاء البنات : " سهام "، " أماني "، " منال "، " فلة "، " وفاء "، " ليلى "، " ناريمان "، " دعاء "، " كنزة "، " بشرى "، مع " نوال "، هنّ أسرتي الحقيقيّة.

إذن هي العودة الميمونة للفرقة التي ضحّى أعضاؤها بأوقاتهم و جهودهم من أجلها، و لنا برنامجنا الذي نسعى لإنجازه، و على نار هادئة؛ نخفي كلّ شيء كي لا يطفئ النّار أيّ أحد.

الشّراكة مع حركة " فان "

بعد 20 أفريل 2013؛ تاريخ تدشين كتابنا الأوّل؛ بدأت أفكر في كتاب ثانٍ نكمل به دربنا الآكاديميّ التعليميّ، راودتني عدّة أفكار تخصّ المحتوى العامّ له، و لكني ما كنت مستقرّا على رأي، نويت الولوج إلى الجانب العلميّ الصّريح على غرار كتاب " الرسالة " أو " المنظار في النقد الإنشاد " لجهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة، و لكن ما لدينا من إمكانيّات لا يسمح بإصدار كهذا، فعزمت على اتباع أسلوب الإصدار السّابق، مقالات تترجم أفكار علميّة عميقة المحتوى، هي المحاولات الثانية بتعبير مختصر آخر، إنتظرت انتهاء الأطفال من اختبارات نهاية السّنة كي يتفرّغن للكتابة، و فعلا قدّمن لي مقالات جيّدة، في أكثر من أسلوبين مختلفين تماما، و حين يريد الله شيئا؛ فإنه يقدّر له الأسباب.

أدّت المناوشات التي حدثت بيني و بين إدارة الجمعيّة إلى تكهرب العلاقة مع بعض الأطراف، و كان غلق المركب الثقافيّ البلديّ سبباً مباشراً في فوضى لم نستطع تجنّبها، بحيث أصبح الأطفال مشتتين لا يعرفون الوجهة المثاليّة، و عليه لم أقدر على التواصل مع كاتبات المقالات بصورة مماثلة للصّورة الأولى، ممّا أدّى إلى تدهور المستوى، غير أنّ الشراكة التي عرضها علينا جهاز " أنسام الصّباح " أنقذتنا في الوقت المناسب، إضافة قوّة إلى نصف القوة التي نمتلكها معناه زوال الضعف، و اتحاد القوّتين معاً بحيث يكمّل الواحد منّا الآخر، إذن هي الشراكة مع أبرز طرف آكاديميّ له من الخبرة ما يرفعنا معه إلى أعلى و أعلى إن شاء الله، في كتاب يحمل عنوان " أوراق من المكتبة الإنشاديّة "، و هنا سيتغيّر كلّ شيء، يجب علينا التنسيق أكثر من الماضي من أجل إنجاز عمل ذي مستوى أرفع يستحقّ هذه الشراكة، أعجبني كثيراً و ما زال يعجبني لحدّ الآن كتاب " السّنابل "؛ فرغبت في درّة نفيسة بمظهر مغاير.

حدّدت المواضيع التي لدينا؛ فتبيّن لي أنّ هناك نوعين قصيرة و طويلة، إذن بدأت الفكرة في التجلّي بكلّ وضوح، علينا إكمال العمل وفق هذه الرّؤية، أرسلت ما استطعت جمعه و تصحيحه إلى " شبكة المجرّة الإخباريّة "، كنت أطمع أن يدخلوا معنا في الإصدار كشريك ثالث، غير أنهنّ آثرن التنسيق، بعد مدّة عرفت أنهنّ لم يكنّ جاهزات أو بالأحرى مشغولات بكتاب لم تتضح لي فكرته العامّة، قلت في نفسي : " يا سلام على هؤلاء النّسوة، لقد عرفن معنى الدّعوة ".

بأفكار لحركة " البراعم " و أفكار لحركة " فان "؛ سيبدو الأمر مشوّشاً دون وجود خطوط فاصلة، و لكن هذه الخطوط يجب أن لا تكون مرئيّة أكثر من اللاّزم، و هو ما مثّل تحدياً كبيراً لنا.

كتابان قديمان وضعهما جهاز " أنسام الصّباح " ربما لا يعرفهما الكثير من الناس، " فلسفة الأدوار في مدرسة الأفكار "، و " الحركات الإنشاديّة العالميّة "، فكرتهم المطروحة علينا للتشاور لا تخرج عن اختيار بعض النصوص لإدراجها في الكتاب المشترك بيننا، على أن تتمّ صياغتها من جديد بحيث يتلائم الأسلوب مع الاتجاه العامّ، و هذا ما يعتبر إنقاذاً للأفكار التي من المفروض أن تعاد بنسخة منقحة على غرار كتاب " مدخل إلى فنّ الإنشاد "، الصّادر في جانفي 2011، مع إضافة نصوص جديدة من كتب ما زالت لم تصدر بعد؛ مثل " المرأة و الإنشاد "، " الأبجديّة الإنشاديّة ".

بالنسبة لنا؛ إنسحبت 05 عناصر و انضمّت 05 لتصبح المجموعة الجديدة مؤلّفة من : أماني الأحسن، أسماء رباحي، بشرى العربي عيسى، وفاء أوغريد، كنزة دحماني، ليلى بسباس، منال العربي عيسى، نوال بلعربي، ناريمان محنون، سماح عمّاري، سهام بلعربي، فلة بلعربي.

أقلام جديدة انضمّت للدّعوة الفنيّة؛ و في كلّ خير و بركة.

أتتني فكرة إدراج صور الكاتبات على الغلاف، إقترحت الفكرة على البنات تشجيعاً لهنّ من جهة؛ و استفزازاً حميدًا لأطفال آخرين من جهة أخرى، اتفقت مع مصوّر شابّ اسمه " نور الدّين . ب " صاحب استوديو " الأمل " للتصوير، الواقع شمال السّاحة العموميّة تحت الطريق الرئيس بحوالي 50 مترا، أعطيت لكلّ واحدة وصلا عليه ختمي الشخصيّ كدليل على أنها مبعوثة من طرفي، و قبل الدّخول المدرسيّ يجب أن تكون الصّور جاهزة، لا أستطيع الانتظار أكثر من 10 أيّام، حتى أستطيع تصميم غلاف ملائم للكتاب الجديد الذي ننتظره جميعاً على أحرّ من الجمر.

سار كلّ شيء على ما يرام، إلتقط " نور الدّين " 07 صور من بين 12، ربما عارض بعض الأولياء فكرتي لسبب أو لآخر، لا يهمّ؛ لقد فعلت ما وفقني الله إليه، و يبقى القرار الأخير للسيّد وليّ الكاتبة.

رتبنا كل شيء ليصدر العمل إن شاء الله مطلع جانفي 2014، قام جهاز " نبض الضوء " للخدمات الإنشاديّة بأعمال المراجعة و التدقيق، كما قمت بتصميم الغلاف في نسخة وحيدة وفق كل المقاسات المرسلة إليّ، و اتفقت مع الأستاذ " مجيب الرّحمن " مدير " شبكة سما العالميّة "، الذي وقف معنا بكلّ إمكانيّاته، لتنتهي كلّ الإجراءات شهرين قبل الوقت المحدّد، ربحنا 60 يوماً اتفقنا جميعاً على استغلالها في الإشهار.

سارت عمليّة الإشهار على أحسن ما يرام، على المنتديات و على الفايس بوك، لقد عرف الجمهور من شتى ما استطعنا الوصول إليه أنّ كتاباً جديداً سوف يصدر إن شاء الله في الشهر الفاتح من السّنة القادمة، أتذكر لمّا صمّمت الغلاف وضعت ستاراً على الصّورة، جلباً للفضول، و هي المرتكز الذي اتخذته في جميع الإعلانات المقدّمة و المرسلة إلى المهتمّين بالشأن الإنشاديّ، و لا سيّما الشغوفين بالكتب و بالدّراسات.

يوم الخميس 02 جانفي 2014؛ نشرت في صفحة النّادي المسمّاة " القندسيّة للإنشاد " على الفايس بوك 03 مقالات مطوّلة من الكتاب، لدينا أكثر من 100 صديق بقليل، أثناء ذلك وضع جهاز " نبض الضوء " للخدمات الإنشاديّة المقالات في " منتديات إنشادكم العالميّة "، و لاقت استحسانا و تجاوبا لا بأس به، ثمّ سرعان ما انتشرت في بعض المنتديات المهتمّة، مثل " الرّفيع للمديح و الإنشاد "، هي اللّحظات الأخيرة التي تسبق صدور العمل بصفة كاملة أو حصريّة كما يُقال، كلّ شيء جاهز لعمليّة الإصدار، هو أوّل عمل يجمع بيننا و بين جهاز " أنسام الصّباح "، و يجب أن ينجح مهما كلّفنا الثمن، و لكن النجاح يجب أن يكون له مقدّمات تطمئننا، فاليوم الخميس 23 جانفي و ما زال الكتاب لم يصدر بعد، و رسائل الاستفسار إلى " شبكة سما العالميّة " لا تجد ردّا شافيا، و " مجيب الرّحمن " لا يجيب، نحن

مقيّدون بزمن لا يجب أن نحيد عنه، و انتظارنا الذي لا أعرف متى سينتهي لا بدّ له من نهاية، أمام الأطفال على الأقلّ، قالوا لنا في " شبكة المجرة الإخباريّة " أنّ الأمر عادي جدّا، هو مسألة أيّام فقط، و لكن المدّة طالت، الجميع كان ينتظر، و لا أعرف ما سأقوله للسّائلات، و عليه قرّرت أن أنشر الكتاب عبر الفايس بوك فقط، لأصدقاء النّادي كي لا يطول انتظارهم أكثر من اللّازم.

مباشرة بعد عمليّة النشر بدقائق معدودات؛ أعاد مدير صفحة " أخبار العفرون " نشره نقلا عن صفحة " دار الشباب "، ثمّ تبع ذلك يوم السّبت إعلان وضعته " شبكة سما العالميّة " على صفحتها هي الأخرى يفيد بنشره حصريّا على موقعها الإلكترونيّ في الأيّام القليلة القادمة، تلقّينا بعد ذلك في صفحتنا حوالي 10 طلبات صداقة، أكّدت عليها جميعها، معتبراً ذلك بادرة جميلة كونها برهان على مدى قوّة النادي التي ما فتئت تزيد باستمرار.

وضع مدير " شبكة سما العالميّة " الأستاذ " مجيب الرّحمن " إعلانا يتضمّن إطلاقا جديدا للمنتدى في حلّة حديثة، إستبشرت خيراً بهذا الفعل، و لكن ما زال الكتاب لم يصدر بعد على المنتديات، كنت من المتوقعين أنه سيكون متوفراً للجميع مباشرة بعد التحديث، و لكن المدّة طالت أكثر من اللاّزم، و لدينا كتاب آخر جديد ينتظر دوره.

في 08 فيفري أطلق جهاز " نبض الضوء " للخدمات الإنشاديّة الكتاب رسميّا على منتديات " شبكة إنشادكم العالميّة "، و تمّ أخذ التعليمات و تأشيرة التنسيق بيننا و بين جهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة شريكنا في هذا الإصدار كي يتوزّع إلكترونيّا على جميع المنتديات المهتمّة و المكتبات الافتراضيّة، و لا سيما المشهورة منها، ففي اليوم الثاني تمّ نشر الكتاب في منتديات " الرّفيع للإنشاد و المديح "، و منتديات " نجوم سيرتا "، و منتديات " واتا الحضاريّة "، كما تكفّلنا بنشره عبر صفحات الفايس بوك، و إرساله إلى المنشدة و المغرّدة " ميس شلش ".

بعد شهرين من إصداره يقف عند الرّقم 200 فقط !، أمّا ملفّ الصّور فجاوز الرّقم 500، لكن شاهده حوالي 2000 شخص، و الفرق بين المشاهدة و التحميل هو الفرق بين العرض و الاقتناء.

لا أعلم كيف يفكّر الإنشاديّون ؟؟؟، تذكّرت ما حدث للكتاب الأوّل؛ بدا خافتا ضوءه ثمّ سرعان ما تخطّى 800 مشاهدة و تحميل يوميّا.

نستسمح كلّ من انتظرنا عذراً على التأخير؛ و نرجوا من الله أن ينفع به كلّ مسلم و مسلمة في أصقاع العالم.

مؤسسة " التواصل بين المشرق و المغرب " و عقود النشر الحصريّة

في أواخر جانفي و بداية فيفري 2014؛ تعرّفت عبر شبكة التواصل الاجتماعيّ الفايس بوك على مؤسّسة " التواصل بين الشرق و الغرب " للطباعة و النشر و التوزيع؛ الواقعة في الكويت، لقد توفرت لدينا الرّغبة في نشر كتابي " المحاولات الأولى " و " أوراق من المكتبة الإنشاديّة " ورقيّا على نطاق واسع حسب إمكانيّات هذه المؤسّسة، عرضوا عليّ في البدء مبلغا يقدّر بحوالي 350 دولاراً أمريكياً؛ و 30 نسخة عن كلّ كتاب فوافقت مباشرة، كلّ ذلك مقابل شراء كافّة الحقوق المترتبة عن هذين الإصدارين بصفة مؤبّدة، بما في ذلك حق النشر الإلكتروني على شبكة الإنترنيت، لكن سبق و أن تنازلنا للأستاذ " مجيب الرّحمن " مدير " شبكة سما العالميّة " عن حقوقنا الإلكترونيّة دون عقد ورقيّ موقّع، فيجب أن نكون عند وعودنا و لو كانت شفهيّة، و عليه يجب إعادة النظر في كلّ شيء تقريبا.

لقد لجأنا إلى الإنترنيت لنشر كتبنا لأنّها الوسيلة الوحيدة التي تضمن الانتشار، مبتعدين عن النشر الورقيّ لأنها تكلّف الكثير و ربما لا تعمل على بثّ رسائلنا الدّعويّة بما فيه الكفاية، و لكن يجب ألاّ نهمل الجانب الورقيّ لما فيه من فوائد، لأنّ الكتاب يبقى الكتاب و لن يحلّ محلّه الكتاب الإلكترونيّ بالقدر الذي يجعلنا نستغني عنه.

يتطلّب النشر الورقيّ توقيع عقد يضمن الناشر بموجبه عدم التعرّض له من الغير؛ و عليه؛ يجب أن أكون الطرف الثاني في هذه القضيّة، ثمّ كيف نؤلّف بين مسألة حقوق الأطفال الذين كتبوا هذه المقالات؛ و بين واجب وضع اسم شخص بالغ قبالة اسم دار النشر؛ يتحمّل المسؤوليّة الملقاة على عاتقه ؟، و لكن ما في العقود شيء و ما نطبعه للقرّاء شيء آخر، لقد منحت حقوق النشر للدّار ورقيّا مع حقّ الترجمة و إعادة الطبع، و رفضت منح حق النشر الإلكترونيّ، لأني على كلمة مع الأستاذ " مجيب الرّحمن "، و لا سيما بخصوص كتاب " المحاولات الأولى "، الذي تمّ منحه حصريّا حق نشره إلكترونيّا؛ بل و التصرّف في هذا الحق وفق ما يراه مناسبا له، و ليس المسلم من يخلف كلمته لأنها ليست موثقة.

كنت أتوق لرؤية الكتابين مع غلافيهما في طباعة راقية في المعارض الدوليّة و في المكتبات، لا أحبّذ تغيير الغلاف الذي ألفه الناس على الإنترنيت، فهذا يبعدهم قليلا عن الكتاب، لأنّ الصّورة حين تبدّل تعطي انطباعاً بشيء آخر، لكن لو رأوا أمامهم ما رأوه عبر المنتديات و شبكات التواصل الاجتماعيّ؛ فهي خطوة تسويقيّة محمودة، و سيتعدّى ميدان نشاطنا العنوان؛ إلى صورة أكثر تكامليّة، و أكبر إنتاجيّة.

بعد التعديلات على العقدين؛ رفعت عدد النسخ التي تدين بها لي دار النشر إلى 50 نسخة عن كلّ عنوان، لقد تنازلت عن جميع المستحقّات المالية لكتاب " المحاولات الأولى "، بينما خفضت ثمن الكتاب الثاني إلى 280 دولاراً أمريكيّا، و أشهدنا الله في النهاية على ما تمّ الاتفاق عليه، لكن الدّار طلبت حقوق النشر الإلكترونيّ، فعملت على إعطائها ذلك للكتاب الثاني فقط إن دفعت مبلغ 1500 دولار أمريكيّ؛ بهذا أضمن أنها لن تبقيه حبيس الأدراج لمدّة طويلة، و من يرضَ أن يبقي مبلغاً كهذا مجمّدا ؟، لكنها لم توافق في نهاية الأمر؛ فأوقفت كلّ شيء إلى إشعار لاحق.

تحت وصاية الـ " **CSP** "

أنا الآن الكاتب العامّ لجمعيّة " النّسيم " للفنون و السّياحة، و بهذا أصبح لديّ التزامان؛ واحد للنادي الذي أنا رئيسه؛ و الثاني لإدارة الجمعيّة، و لكن لو فكّرت في الأمر قليلا لأدركت أنّنا لم نستطع فعل الكثير سوى أنّنا نبهنا المكتب لضرورة أخذ الأمور بجديّة أكبر، و أحطنا الجميع بوجوب التقيّد بالقانون الدّاخليّ الذي تمّ وضعه من أجل العمل به، لا أن يبقى حبراً على ورق، لقد آليت على نفسي أن أقف بالمرصاد لكلّ محاولات التلاعب مهما كانت، أنا الوحيد الذي استطاع الوصول إلى قمرة القيادة و عليّ أن أكون العين السّاهرة اليقظة دائما بدل " رابح " الكاتب العامّ السّابق الذي لم يستطع إكمال المشوار لوحده، وجد نفسه معزولا مع شلّته في اجتماع لم أكن أتوقّعه، بعد صلاة الجمعة 24 جانفي، لقد عيّنوني غصباً عن إرادتي، بحكم أنّ عملي يسمح لي بذلك، قبلت الواقع الجديد و توكلت على الله، ربما يغيّر تعالى شيئا على يدي، و مباشرة كان لنا اجتماع عام مع السيّد " كمال . ج " مدير المركب الرّياضي الجواري؛ يوم الأربعاء ابتداء من السّاعة الثالثة بعد الزّوال، ثمّ تأجّل إلى يوم الاثنين في نفس السّاعة، و تمّ الاتفاق على تغيير وقت التدريبات إلى يوم الجمعة على السّاعة الثانية بعد الصّلاة مباشرة.

في الفاتح فيفري 2014 أعطاني " أمين " تاجر تجهيزات الكمبيوتر و لواحق المكتب؛ فاتورة ابتدائيّة لمكبّر أصوات جديد طلب مني محاسب الجمعيّة اقتنائه للفرقة، بثمن لا يتجاوز 05 آلاف دينار جزائريّ، في انتظار عرض هذه الخطوة على المكتب للموافقة، يعلم الجميع أنّ لدينا مكبّر صوت اشتريناه منذ مدّة و هو ما زال صالحاً للعمل، فلماذا إذن الجهاز الجديد ؟!، إتفقت مع رئيس الجمعيّة أن أحضر مكبّر الصّوت الذي لدينا إلى المركب الرياضي الجواري و أبقيه هناك ما دام لن يستعمله أحد في دار الشباب، ثمّ لاحظت أنّ هناك شوشرة حول هذا الموضوع، الرّئيس يقول كلاما؛ و المحاسب يطلب شراء آخر، و النائب لديه أقوال مخالفة، ممّا ينمّي الإحساس أنّ كل شيء ما زال على حاله، و عليه فقد ألحقت النادي بالمركب الرياضيّ الجواريّ، ما داموا سيوفّرون لنا كلّ شيء، و حريصون كلّ الحرص على السّير الحسن للنشاط، هكذا اتفقت مع السيّد " كمال . ج " مدير المركب، شخص يعي جيّداً معنى العمل الجمعويّ، و لديه حسّ رياضيّ رفيع، بمساعدة الآنسة " هجيرة "، أصبح النّادي الإنشاديّ " قندس " تابعاً لما يُعرف اختصاراً لدينا باسم " **CSP** "، و للبنات تأمين سنويّ.

حصّة يوم الجمعة 07 فيفري هي أوّل حصّة تحت الوصاية الجديدة، جاءت " منال " و شلّتها مع " وفاء " التي حضرت متأخّرة قليلا، نفذنا أوّل حصّة تقنيّات للعام الثاني، ركّزنا على التحكّم في التنفّس و كسب نفس طويل باستعمال السّاعة، هي طريقة راقت للجميع، كونها تمثل تحدّيا حقيقيّا لكلّ منشد و منشدة، في الغد انتظرت " هجيرة " التي يبدأ دوامها عادة على السّاعة الواحدة بعد الظهر؛ كي توفّر لي كمبيوتر أستعمله بدل الكمبيوتر المحمول الذي هو في الأصل ملك " ناريمان "، لقد تأخرت في ضبط الأصوات و لا يجب أن أتمادى في هذا التأخير أكثر من اللاّزم، أنا بحاجة إلى علبة إيقاع افتراضيّة و إلى آلة عزف موسيقيّة افتراضيّة أيضا كي أعمل براحة و يقين، فوعدتني بفعل ما بوسعها ما دام المدير موافقا على خطواتنا.

للأسف الشديد أثّر نقص التجهيزات علينا كثيرا، فلم تستطع " هجيرة " إمدادي بكمبيوتر، و حتى مكبّر الصّوت الخاص بالمركب الرياضيّ الجواريّ لم أستطع استعماله بارتياح، أمّا عن الجمعيّة فحدثّ و لا حرج، لم ألتق برئيسها منذ مدّة و لا بالمحاسب الذي اقترح شراء مكبر صوت جديد، و بناء عليه يجب الاعتماد على نفسي في توفير كلّ شيء ضروريّ، و لا سيما أنّنا الآن لسنا تابعين لأيّة جمعيّة.

خطرت في ذهني أن أشتري مكبر الصّوت الذي من المفروض أن تتحوّل ملكيّته إلى جمعيّة " النسيم " باسمي الخاص، و أستعير كمبيوتر محمول من أحد الأصدقاء، لكن صديقي " أمين " بائع تجهيزات و لوازم الكمبيوتر الذي كنت أعتمد عليه في ظروف مماثلة؛ رفض منحي مكبّر صوت قبل أن أجهّز له المبلغ كاملا، مقبول موقفه لحدّ ما، كونه يحظى بهامش ربح قليل، و هو لا يقدر على تجميد ماله أكثر من مدّة 10 أيّام.

طالبات السّنة الثانية

النّادي الإنشاديّ " قندس " الآن في عامه الثاني؛ أي يجب التركيز على تحسين المستوى أكثر من ذي قبل، و إذا كنّا جميعا نسعى للارتقاء بهذا الفنّ الغنائيّ؛ ينبغي مواصلة التدريبات بجديّة أكبر، و إجراء تمارين لم نكن نستطيع إجرائها في عامنا الأوّل.

زيادة على حصّة التقنيّات التي تكون مدّتها 45 دقيقة؛ ركّزت على شيء هامّ ربما لا يكترث له المشرفون أو المشرفات؛ سلوك المنشدة أثناء العرض، هذه النقطة يجب أن يفهمها الجميع جيّدا كونها الصّورة النمطيّة التي تتكوّن عند الجمهور.

نحن الذي نؤسّس العادات التي نعيش عليها، و إذا أدركنا ما يراه الناس منّا سيطرنا على تصرّفاتنا أمامهم، حين نتدرّب على طريقة العرض معناه صنع عادة إيجابيّة قدر المستطاع، و في هذه العادة نمنع كلّ التصرّفات الإراديّة و غير الإراديّة كالهمس و الضّحك و النظر في الأرض و غيرها من السّلوك غير الطبيعيّ أو غير المستحسن، هذه الطريقة تقينا كلّ سوء أمام الجمهور، لقد شاهدت منشدين يقولون لبعضهم البعض : " أسكت؛ لقد أخلطت كلّ شيء "، و آخر للذي بجانبه : " يا أحمق لا تسرع كثيراً لا نستطيع اللّحاق بك "، و أمامهم ميكروفونات حسّاسة لكلّ الأصوات !.

إذا كنا نريد التخلّص من الضّغوط التي تكون علينا أمام الجمهور؛ فليس معناه أن نفقد تركيزنا، هذا التركيز الذي نحن أحوج ما نكون إليه في هذه الظروف، لا يجب أن يسهو المنشد عن المشرف، و لو نظر هنا و هناك، عليه أن يبقي باله منشغلاً بما هو فيه دون إفراط أو تفريط، و هي مسألة لا يعيها الأطفال على النّحو المطلوب.

أمّا سلوك المنشدة أثناء التدريبات؛ فيجب مراقبة التصرّفات اللاّ إراديّة بصفة أكثر خصوصيّة، كاللّعب بالأرجل أو النّظر في السّماء، فمثل هذه التصرّفات و إن بدت عادية غير مستحبّة إطلاقا، لأنّها تشتت التركيز و تعزل المنشدة عن زميلاتها و ربما عزلتها عن المشرف أو المشرفة، فكانت مصدراً للخطأ و تنحرف بأخريات عن المسار الصّحيح للعمل المحضّر.

يوم الجمعة مثلما هي العادة؛ توجب عليّ أن أطوّر شيئا أكسر به الرّوتين قليلا، أكملنا تحضير أنشودتين فقط بعد الغياب الذي عانينا منه، و لا سيما و أنّي اتفقت مع أحد مدراء المدارس على إحياء يوم العلم 16 أفريل، و اتفاق كهذا يحمل بين طيّاته معنى التحضير الجدّي الملفوف بالصّرامة و الانضباط، ففكّرت في استعمال أسلوب " الدائرة " لما يتمتّع به من خصائص.

أسلوب " الدائرة " طريقة تزاوج بين التسخينات و المقابلة، بحيث يتواجد المشرف وسط حلقة من المنشدات، اللاّئي يرين بعضهنّ البعض، و في مقابل ذلك؛ يسهل عليه مراقبة الأصوات جيّدا، و لو أنّ الذّبذبة تكون قويّة لحدّ ما، غير أنّ هذا المخطط له ما له من الفوائد؛ و عليه ما عليه من العيوب، كما يمكن استخدام الكراسيّ للرّاحة عند

استعادة القوى، ثمّ تقف المنشدات عند بدأ التدريب.

تختلف مخطّطات التدريب عن مخطّطات التموقع، فإذا كانت الأولى صورة نضع عليها المنشدين و المنشدات أثناء حصص التدريب المختلفة؛ فإنّ الثانية هي الصّورة التي يجب أن يقابل بها المعنيّون بالأمر الجمهور.

نراعي في مدرسة الاختصاص كلّ شيء تبدو عليه الأهميّة، و لا نكتفي بما هو سطحيّ دون أن نغوص إلى الأعماق بشجاعة يمنحنا إيّاها الله جلّ جلاله، لنستكشف كل ما هو مجهول؛ أو ما يبدو مجهولا.

في 08 فيفري؛ وجدت " أسماء فايدي " فقط جالسة تنتظرني كعادتها دائما، إذ تحضر قبل الجميع، و لقد انتظرنا أن يحضر الجميع و لا واحدة تكرّم بها علينا الأفق، هي اختبارات الفصل الثاني التي تبدأ في 02 مارس لتدوم أسبوعا، لقد اتفقت مع البنات منذ شهر أن نوقف تدريباتنا حتى تمرّ هذه الفترة كي لا يتشوّش ذهن أيّة واحدة، ثمّ نتفرّغ للدّعوة الفنيّة.

في تلك الأثناء عرضت بعض الأطراف على الأستاذ " عبد القادر " تولّي الإشراف على الكنيسة القديمة باعتبارها مركبا ثقافيّا تابعاً للبلديّة، كما كان سابقا قبل أن يقدّم استقالته، أو بالأحرى قبل أن يقدّم إحاطة بتوقفه عن المهمّة الموكلة إليه، و هو حسب ما علمته ما زال متردّدا بين القبول و الرّفض، كلّنا نخشى أن تتجدّد المشاكل، في الصّباح فقط التقيت مع رئيس الجمعيّة يزفّ إليّ الخبر، مقترحاً أن أعيد الحركة إلى العهد الذي كانت عليه، إذا كان صحيحاً ما يُقال؛ فإنّ البنات اللاّئي توقفن سيعدن إلى العمل معي، و بذلك أربح 03 عناصر على الأقلّ، أنا في حاجة لكلّ واحدة من بناتي اللّواتي افتقدتهنّ، أنا في حاجة ماسّة إلى الذكريات السّعيدة التي خلّفتها ورائي حين غادرت ذلك المكان.

غير أنّ الوضع الآن مختلف عمّا كان عليه في السّابق، فالنادي تابع إلى المركب الرياضي الجواري الذي احتضننا حين كنّا نبحث عن عشّ دافئ، و لو عدنا؛ يجب أن نعيد ترتيب بعض الأوراق؛ كأن نكون تابعين لجهتين معاً، و ما في ذلك ؟، لكن يبقى الأمر مغامرة خطيرة ذات نكهة خاصّة.

يوم الجمعة 07 مارس نفذت برنامجي؛ أجلست البنات في دائرة حولي، حاولت تكبيرها ما استطعت تفاديا لطاقة الذبذبة، أحضرت " منال " معها طفلة جديدة تسمى " سلمى "، و عليه فإنّه يتعيّن عليّ أخذ صوتها في الحسبان، كي لا تتسبّب التدريبات الشاقة في إذاية أحبالها الصّوتيّة، و لكني وجدت أنّ " فلة " في بحّة أفقدتنا بها مشاركتها الفعّالة في الفرقة، لا أعلم بالضبط ماذا حدث ؟، و لو أني كنت أسمع منها في فترات سابقة بعض التغيّر، إلاّ أني لم أعطِ للأمر أهميّة، تمارينا أدّت إلى زيادة مساحاتنا الصّوتية لتصل إلى " السّي "، 04 فقط كنّ المعنيّات بهذا التقدّم المنتظر منذ زمن، " سهام " و " منال " و " ليلى " و " وفاء "، في انتظار قدوم الأخريات، و خاصة " سماح "، كان لزاماً عليّ أن أستعين بمخطط آخر بحيث جعلت كل واحدة من الأربعة في منتصف القاعة ظهراً إلى ظهر مع رفيقتها، و بهذا تمكّنت من التخلّص من قدر و لو بسيط من الذبذبات التي راحت تتولّد كلّما ارتفعنا في الدّيوان، مقرّرا إجراء هذا النوع من

التدريبات في الهواء الطلق حين تسمح الظروف.

كان لزاما عليّ أن أوزّع أنشودة جديدة خاصّة بالعلم اقترحتها " سهام " لنتدرّب عليها في الأسبوع القادم، بدت مناسبة تماما؛ عنوانها " بالعلم نتوّج فرحتنا "، ففكرت في إرسالها إلى الشاعرة " صبيرة قسامة "، فبخبرتها قد تفيدنا في تغيير بعض الكلمات التي لا تناسب الفكر الإنشاديّ الحديث، التوزيعات التي نفذناها في الحصّة توزيعات مؤقتة سمحت لي بالتعرّف على بعض الجوانب عن كثب، و لكن التي اعتزمت إنجازها كانت نهائيّة صالحة للمشاركات، المشاركات التي تؤرّقني نظرا للمستوى الذي أرغب في الظهور به، و لا سيما لو كانت خارج المدينة أو الولاية، هي الانطباع الدّائم الذي سنتركه ورائنا لمّا تنقلنا حافلة العودة.

إلتقيت من قبل مع " هجيرة " التي أطلعتني على مراسلة من مديرية الشباب و الرّياضة تفيد بإجراء مسابقة لم يتحدّد موعدها بعد، لقد بادرت لمّا وافقت مبدئيّا إلى العناية التامّة بالفرقة، من جانبها ستتكفل بتوفير ملابس المشاركة، و الباقي من البلديّة و المديريّة، و لكن الرّأي الأوّل و الأخير سيبقى معنويّا لشروط هذه المسابقة التي ستحتضنها مدينة " أولاد يعيش "، حوالي 10 كيلومتر إلى الشرق من مدينة " البليدة ".

مسألة ملابس المشاركات مسألة يستهين بها البعض، لأن القضيّة تعكس الفكرة العامّة للدعوة التي نحن بصدد خوض غمارها، فاللّباس يجب أن يكون محتشماً حتى و لو كان للبنات الصّغيرات، في الجزائر هناك اتجاهان رئيسان؛ أحدهما اتجاه اللّباس التقليديّ؛ و الثاني اتجاه اللّباس العصريّ، أي " التنورة "، و لكن كيف لطفلة ترتدي الخمار أن ترتدي تنورة ؟، هذا الأمر غير منطقيّ البتّة، و عليه كان يجب إفهام "هجيرة " وجهة نظري.

لقد نفذنا توزيعات جديدة بناء على ما لمسته من مستوى، مع إضافة لمساتنا الخاصّة التي نضمن بها الخروج عن قوقعة التقليد الأعمى، إستعنت بهاتفي المحمول الذي يحوي خاصيّة التسجيل الصّوتي ثمّ أسمعتهنّ أنفسهنّ، كنت أطمح إلى تبيان شيء مهمّ؛ ليس ما نسمعه من أصواتنا هو صوتنا الحقيقيّ، تتغيّر الفكرة تماما لمّا نستمع إلى ما كنا نقوله أو ننشده من مصدر آخر، و كل ما نفذناه هو اعتماد على الوزن فقط، لأنّنا ما زلنا لا نملك أيّة آلة مساعدة، و الوقت يضغط علينا كما عهدناه دائما، موعد المشاركات يقترب، و لا حلّ استراتيجيّ في يدي سوى أن أرفع من اللّياقة الصّوتية للفرقة، من باب التدرّب على الأصعب لنيل الصّعب، و مواعيد المشاركات هي مشاريع لا نسعى لتحقيقها فحسب؛ بل للنجاح فيها؛ و في الأفق 03 مواعيد لا ندري فعل الرحمن فيها.

إبتداء من 27 مارس 2014؛ بدأت ملامح تداعيات جديدة في الانبثاق، فقد كانت بعض نتائج الفصل الثاني لبعض العناصر غير كافية لا تبعث على الارتياح، خاصّة و نحن على بعد شهرين فقط من انتهاء السّنة الدّراسيّة، و عليه فقد كنت مهدّدا بفقدان عنصرين أو ثلاثة، ما أنا في أمسّ الحاجة إليه بين ليلة و ضحاها يذهب دون سابق إنذار، كم هو صعب بالنسبة لي أن أتابع كل شيء بنفسي ؟؛ أن أحضّر برنامجاً للتدريبات و أسعى لترتيب المشاركات، و أن أحافظ على من سيمثلن كل ذلك أمام جمهور خارج مدينتنا، جمهور سيكتشفنا لأول مرة في حياته، و الله أعلم ما ستكون عليه

ردّة فعله.

في غياب مكبّر صوت و آلة إيقاع؛ كان لزاما عليّ أن أركّز على التقنيّات أيّما تركيز، هي الأساس إن شئت في كلّ الأناشيد ... ما هي هذه الأخيرة ؟، أ ليست عبارة عن أصوات داخل ميزان يظهر بإيقاع مغلّف بكلمات يرفع من شأنها الإحساس ؟.

لقد شجّعني التقدّم الملاحظ على سيرورة العمل على أن أواصل مشواري و كلّي ثقة، شرعت في تدريب البنات على تناغم الأصوات، تمرين هو في ذاته استفزاز لإثبات شخصيّة كلّ واحدة منهنّ، ما أدهشني هو قدرة هؤلاء اللّواتي بدأن العمل معي منذ أكثر من عام كامل على إنجاز ما عجزت عليه فرق إنشاديّة عمرها أكثر من 03 سنوات، تمرين بسيط كان كافيا للحكم على قوة التركيز لديهن، إعتمدت على 03 أصوات هي " دو " و " مي " و " صول "؛ بحيث تركز كل مجموعة مؤلّفة من منشدة أو اثنتين على إصدار الصّوت المختار لها دون أن تنحرف إلى الصّوتين الآخرين، ثمّ نغيّر الأصوات السّابقة إلى " ري " و " فا " و " لا "؛ و هذا طبعاً لأننا في مقام " دو " الكبير، فإذا غيّرنا المقام وجب أن نغيّر الأصوات.

هي فلسفة الإرتقاء الحيويّ؛ و هي مشاقّ الدّعوة لنا جميعا؛ أنا و هؤلاء البنات اللّواتي ضحّين بأوقاتهنّ من أجل الإنشاد، هنّ حبيباتي الصّغيرات، فأنعم بهذا الحب الذي رفعنا الله به.

يتبع إن شاء الله

خاتمة

كم نحن محتاجون لتدوين مذكّراتنا الشخصيّة و يوميّاتنا ؟، هي الفعل المتقدّم لكتابة التاريخ، بطريقة مباشرة بعدما نكتبه بتداعيّات أنشطتنا.

كم نحن محتاجون إلى تسطير ما فعلناه عن نيّة صادقة بعيدة عن التفاخر و استجداء المجد ؟، و كم هي التجارب التي لا نعطي لها قدراً و لو ضئيلاً من الأهميّة ليتراكم عليها غبار السّنوات و القرون بدل أن تتراكم هي في معرفتنا البشريّة العامّة ؟.

كلّ ما ذكر في الصّفحات السّابقة؛ هو سرد لوقائع و أحداث مرّ عليها النّادي الإنشاديّ " قندس "، عبر عام و نيّف، قبل الفاتح نوفمبر تاريخ التأسيس، إلى الأيّام الأخيرة من مارس 2014، نتمنى أن يأخذها المطلعون عليها بأعين الاعتبار، كونها تمثل خبرة بسيطة مكتسبة تُضاف للتراكم المعرفيّ، فمن أجل تأسيس تاريخ إنشاديّ يرتكز على الصّراحة و الدّليل؛ و يعتمد على الأفعال المتقدّمة لكلّ فرد منا؛ كان هذا الكتاب في جزئه الأوّل، كمحاولة بسيطة لفتح الطريق أمام إنشاديّين آخرين لهم ما لهم من التّجارب التي يجب أن نطلع عليها، للتعلّم و الاستفادة.

إنّ تحليل الأحداث السّابقة يكشف عن طريقة تفكير سادت النّادي، و مجموعة من التقاطعات كانت تشكل المناخ العامّ في سنة 2012 عندما تولّد هناك موقف بضرورة تكوين بذرة صالحة من بذور مدرسة الاختصاص في بقعة من بقاع العالم، مشهورة بحبّها للفنّ الرّاقي، و معروفة بإنجاب جهابذة كأمثال " أبي المجد "، و طريقة التفكير التي حدّدت الانطلاقة الميمونة للمولود بتاريخ 01 نوفمبر 2012؛ هي التي كانت السّبب في إنجاز أوّل عمل آكاديميّ يسمّى " المحاولات الأولى "، ثمّ كان العمل الثاني المشترك " أوراق من المكتبة الإنشاديّة "، ثمّ الجزء الأول من " التجربة القندسيّة " في انتظار الجزء الثاني بمشيئة المولى عزّ وجلّ، و في كلّ هذه الأعمال ... أقلام كتبت لأول مرّة في حياتها أشياء لها أجمل معنى، إنّها الأسرة في امتدادها و من شابه أباه فما ظلم.

جهاز أنسام الصباح للتربية الفنيّة
ماي 2014

الاختبار التحضيري للقدرات الفكرية - الموضوع الأول

إختاري 05 أسئلة فقط للإجابة عليها من بين التالي : (ملاحظة 04 نقاط على كل سؤال).

01 - ما الفرق بين " الوزن " و " الإيقاع " ؟.

02 - كيف يؤثر الكبت الصوتيّ على عملية التنشيد ؟.

03 - ما الفرق بين " الإنشاد " و " التغريد " ؟.

04 - أشطبي العبارة غير الملائمة : نتدرب في مكان واسع حفاظا على أصواتنا من : التراجع - التقزم - التقعر - التذبذب.

05 - ما فائدة الآهات ؟.

06 - أكملي العبارة التالية : لا فائدة من أداء نشيد أو أنشودة خالية من .... فهو الدّليل على صدقنا.

07 - ما دخل طريقة الجلوس في التنفس ؟.

08 - هل نحن مضطرّون فعلا إلى إجراء تسخينات صوتيّة قبل أن ننشد ؟.

09 - في بعض الأناشيد ننشد قبل دخول الزمن الأول من المقياس مثل أنشودة " عليك مني سلام "، فسّري ذلك.

10 - إشرحي مصطلحين من بين هذه المصطلحات : القفزة الصوتيّة - الغطاء - الفرديّ - مجموعة الإسناد - التقنيّة - المقام الموسيقيّ - النشيد.

الإجابات النموذجية :

- الوزن هو الشعور الداخلي بترتيب خاص للكلمات و اللّحن، أمّا الإيقاع فهو إخراج هذا الشعور إلى المستمع، بحيث يصبح مسموعاً للجميع من منشدة و جمهور.
- يؤثر الكبت الصوتيّ على عملية التنشيد تأثيراً سلبيّا؛ بحيث لا يسمح للمنشدة بإخراج الصّوت صحيحا و سليما.
- الإنشاد كمصطلح هو الإعتماد على الصّوت البشريّ أو على آلات الإيقاع فقط؛ أمّا التّغريد فهو تجاوز ذلك إلى آلات العزف الموسيقيّة.
- العبارة المقصودة هي " التراجع "، كما يمكن اعتبار " التقزم " جوابا صحيحا أيضا.
- للآهات فائدة تنمية الأحبال الصّوتيّة على اعتبار أنّها لحن مؤلّف من نقاط موسيقيّة في وزن أو إيقاع.
- الكلمة هي " الإحساس ".
- تتحكّم طريقة الجلوس في تنفسنا، فاعوجاج العمود الفقريّ لا يسمح باستغلال مناسب للرئتين.
- نعم مضطرون إلى ذلك اضطرارا، كي نتفادى الإصابات.
- يرجع هذا إلى تلحين الأنشودة؛ ففي الكتابة الموسيقيّة نلاحظ أنه من الضروريّ أن نبدأ قبل بدأ المقياس و إلاّ سنجد أنفسنا ضدّ الوزن الذي صممت عليه الأنشودة.

- شرح المصطلحات :

القفزة الصوتيّة : الانتقال من وضعية صوتية إلى وضعية صوتية أخرى بسلاسة و كأننا نقفز في الهواء.

الغطاء : هو تقنية المدّ الصّوتيّ مع خفض الصّوت شيئا فشيئا ليتسنّى لصوت آخر أن يظهر.

الفردي : هو المنشد أو المنشد التي تنفرد بالتنشيد أمام صمت المجموعة.

مجموعة الإسناد : هي مجموعة من الأفراد المؤهّلين لأخذ دور الفردي.

التقنية : هي طريقة نستعملها في عمليّات التنشيد.

المقام الموسيقي : هو مجموعة من النقاط الموسيقيّة تخضع لقانون رياضيّ يربط بينها مثل مقامات الراست، البياتي، النهاوند.

النشيد : هو فنّ غنائيّ دينيّ يهتمّ بتناول الحياتين الدّنيا و الآخرة من منظور إسلاميّ، يُنكر فيه استعمال آلات العزف الموسيقيّة أثناء العرض و التسجيل، و يُقتصر فقط على آلات الإيقاع و المؤثّرات الخاصّة.

الاختبار التحضيري للقدرات الفكرية - الموضوع الثاني

إختاري 05 أسئلة فقط للإجابة عليها من بين التالي : (ملاحظة 04 نقاط على كل سؤال).

01 - لماذا تتطلب الفرقة الإنشادية عاما كاملا من التحضيرات قبل أن تشارك للمرة الأولى ؟.

02 - ما هو عمل " عضوة الإسناد " ؟.

03 - ما معنى سماع ذبذبة سليمة للأحبال الصوتية ؟.

04 - أكملي العبارة : نختار منشدة في منصب منشدة فردية من بين مجموعة من المنشدات اللواتي تتوفر فيهن شروط خاصة منها : الجرأة على مواجهة الجمهور، الصوت السليم، التحكم في الأنشودة أو النشيد، التمتع بنفس طويل ... إلخ، تسمى هذه المجموعة بمجموعة ....

05 - أثناء مدة التحضير التي تدوم عاما كاملا و المسماة مرحلة " تأهيل الذات "؛ نقوم بإعادة بعض الأناشيد المختارة لأسباب كثيرة، أذكري بعضها ؟.

06 - نتدرج في الديوان الموسيقيّ عبر مدة زمنية قد تصل إلى 10 أشهر في حين يهمل البعض هذه العملية، أذكري السّبب الذي يدفعنا للتمرين على كل صوت وحده دون إكمال باقي الأصوات ... الخ.

07 - نتنفس بالرئة بصفة عامة، غير أن التنفس بالجهة السفلى لها أفضل بكثير لنا، لماذا هذا في رأيك ؟.

08 - ما معنى " الكبت الصوتي " ؟.

09 - فسّري المعاناة من السّعال حين نقوم بتمارين الدّيوان، و خاصة لما نصعد في الأصوات ؟.

10 - إختاري العبارة الصحيحة : حين نصاب ببحّة معنى ذلك أن الأحبال الصوتية في حالة تعب أو إجهاد - حالة مرض - حالة ضيق في التنفس - حالة جنون.

و أفضل خطوة هي نرتاح و نتنفس جيدا - نواصل العمل و كأن شيئا لم يكن.

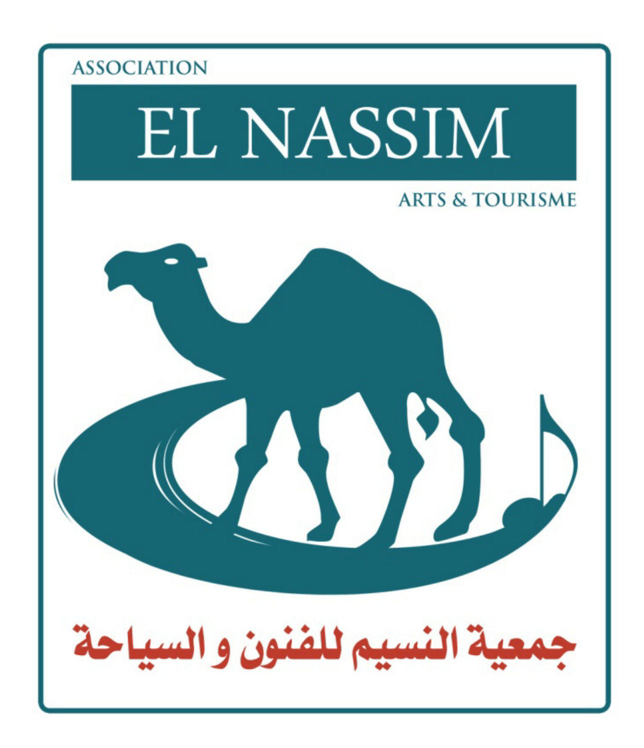
الإجابات النموذجية :

- تتطلب الفرقة الإنشاديّة عاما كاملا على الأقلّ من التحضيرات قبل المشاركة الأولى كي تضمن استعداد جميع أفرادها لمواجهة الجمهور أو التسجيل بتقديم عمل رفيع المستوى.
- يتمحور عمل " عضوة الإسناد " حول تقديم الدّعم الصوتيّ و النفسيّ للفرديّ.
- معنى ذلك أنّ الأحبال الصوتيّة في حالة جيّدة لا تشكو من أيّ خلل.
- العبارة المقصودة " الإسناد ".
- من بين هذه الأسباب لدينا :

- التمرّن الميدانيّ على النقاط الموسيقيّة و الإيقاع.
- التمرّن على الإحساس و على كيفيّة نقل الرسائل الصّوتية و غير الصّوتيّة إلى الجمهور.

- اختبار القدرة المبدئيّة للأفراد.

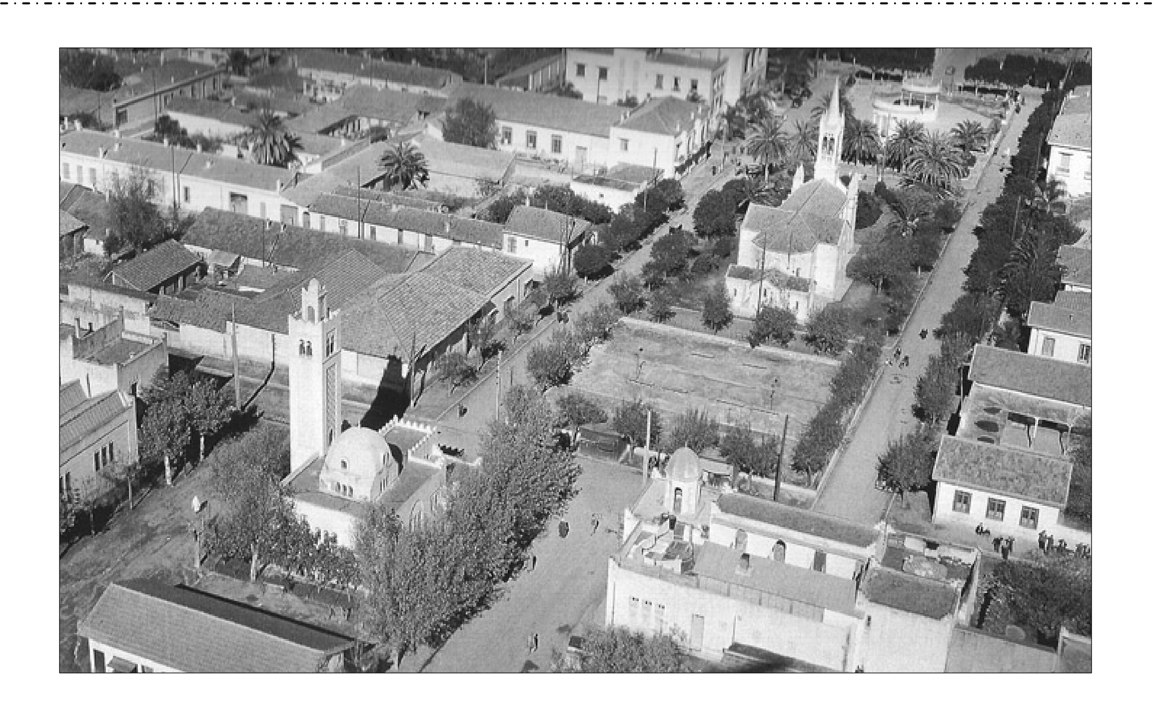
- لأنّ الأحبال الصوتيّة تحتاج إلى مدة معيّنة كي تتأقلم مع الصّوت الموسيقيّ الصّحيح.
- لأنّ مساحة الجهة السفلى للرئة أكبر من الجهة العليا؛ إضافة إلى أنّ ضغط القفص الصّدري على أعلى الرئة يشكل مشكلة عند التنفس.
- الكبت الصّوتي هو عدم إخراج الصّوت الموسيقيّ كما ينبغي.
- سبب السّعال هو بداية عمل الأحبال الصوتيّة كعضلة من عضلات الجسم.
- العبارة الصّحيحة " حالة تعب و إجهاد "، و أفضل خطوة هي نرتاح و نتنفس جيّدا.



شعار الجمعيّة (اللوغو) تمّ اعتماده في أوت 2012.



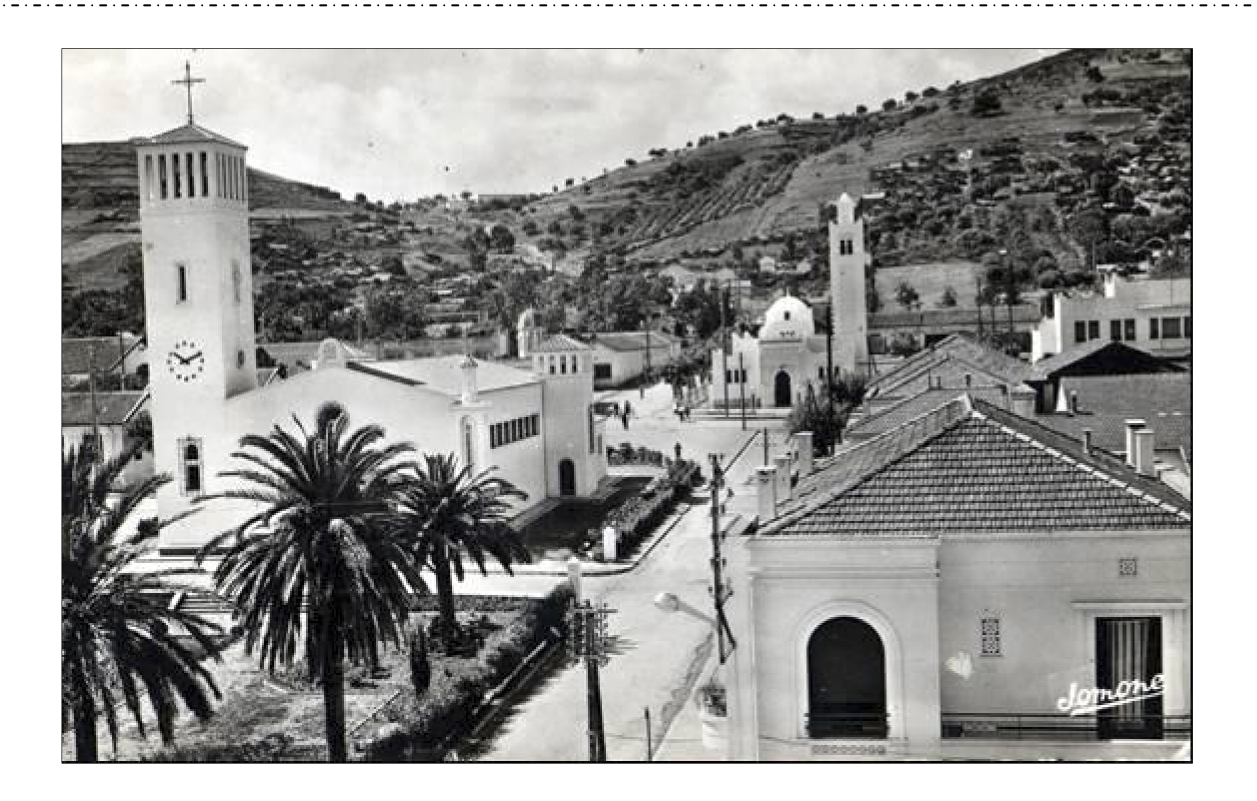
شعار النادي الإنشاديّ " قندس " (اللوغو) تمّ اعتماده في جانفي 2013.



صورة من الأرشيف العسكريّ الفرنسيّ تبين المسجد العتيق لمدينة " العفرون " و أمامه الكنيسة قبل تغيير تصميمها على بعد 50 متر (الشمال إلى أعلى)



نفس الصّورة السّابقة من الزاوية الجنوبية (الجنوب إلى أعلى)



كنيسة " العفرون " بعد تغيير تصميمها في العهد الفرنسيّ (الجنوب إلى أعلى)



المركب الثقافيّ البلديّ في فصل الشتاء (صورة مأخوذة من الجانب الشماليّ)

إصدارات تهمّك :

كتاب " المحاولات الأولى "



• ما أجمل أن تتحرّك الإرادة في الأطفال !، و ما أروع أن نبث فيهم تلك الرّوح التي تنظر إلى الواقع بتفاؤل !، فينعكس ذلك في مقالات مختلفة المضامين، تخطها أياديهم التي باركها الرحمن، هم لا يدرون أنّهم يعبّرون عن أفكارهم الشخصيّة تجاه قضايا معيّنة، مجرد حركات لا يعون مدى قيمتها في كتابة التاريخ من جهة؛ و لا يدركون أنهم بأفعالهم البسيطة هذه؛ يفتحون طرقا لغيرهم ... و إذا كان الجمال في تحريك ما يجب أن يتحرّك باكرا في أجيال المستقبل؛ فما أبهى أن تتوسّع هذه الحركة، و يكتب الأطفال للأطفال ... تحت رعاية الكبار !.

كتاب " أوراق من المكتبة الإنشاديّة "



• مـا زال الأطفال يكتبون للأطفال؛ و ما زال الكبار يرعون كتاباتهم، و لله الحمد و المنّة، هي المحـاولات الثانية بتعبير آخر، لكن هذه المرّة ... وفق رؤية مغايرة، تشبه كتاب " السّنابل " إلى درجة معيّنة، فليبارك الله هذا النبات و يسقيه من مائه المقدّس.

أمّا أنت يا طفلي العزيز؛ خُلقت للفعل منذ أمد بعيد؛ فغيّر التاريخ.

كتاب " تأملات في الفلسفة الإنشاديّة "



• تأمّلات في مواضيع قد ترتبط بين بعضها البعض، تدخل كلها ضمن الفكر الإنشادي الحديث، عبارات و مقولات خصت بالتحليـل و المناقشة، و ما يستدعي ذلك من التطرق لمواضيع تدخل في صلب الإجابة، هي ألغاز تم تفكيك شيفرتها، أو على الأقل سعينا إلى ذلك.



كتاب " مدخل إلى فن الإنشاد " (نسخة منقحة)



• هو مدخـل إلى فن عريـق له أسســه و مميزاتـه و خصائصه، و لسنـا مسؤولين عن الكيفيـة التي يراهـا به القـرّاء، فمـا بين أيـاديكـم عبـارة عن جسـر تنتقلون عبره إلى معـارف جديدة، أي أننـا نضعكـم في ميدان معرفي غريب عنكـم بعض الشيء، من أجـل أن تكـونـوا إنشاديين بحـق، و لتثقيفكـم، فالإنشاد ما أضحى كما كان، لقد تغير كل شيء يا سيدي، زال كل ما كان عالقا من أوهام الماضي، ذابت الأفكار الرثة البالية، مشكلة العالم الآن هي هل تعلم أم لم تعلم ؟، ثم هل عملت بما عرفت أم لم تعمل ؟، كل ما في هذا الوجود قائم على العلم، مرتكز على العلماء الذين باستطاعتهم حفظ الوجود إلى غاية يوم القيامة.

يا سيدي ... لقد انتهى زمن المعجـزات منذ أمد بعيـد، فكيف نكلّـم من كان في المهـد صبيّا ؟؟؟.